ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1053 - الجمعة 8 ذو الحجة 1424 هـ - الموافق 30 يناير 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

الأضحية سنة مؤكدة

تهاني رابطة علماء المغرب بمناسبة عيد الأضحى المبارك

بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك، يسعد رابطة علماء المغرب وأسرة تحرير جريدتها "ميثاق الرابطة" ومجلتها "الاحياء"، أن تتقدم بأخلص التهاني وصادق الأماني، الى حضرة أمير المؤمنين، راعي العلم والعلماء، جلالة الملك محمد السادس ، حفظه الله ، داعية لجلالته، بدوام العز والنصر والتأييد، حتى يحقق لأمته التي تبادله المحبة والوفاء، كل ماتطمح اليه من تقدم وسعادة وازدهار، تحت راية القرآن الكريم، والسنة المحمدية الشريفة وما أجمع عليه السلف الصالح في ظل العرش العلوي المجيد والجالس عليه ، سائلة الله تعالى أن يكلأ جلالته بعنايته، ويحفظه في ولي عهده الأمير مولاي الحسن، وشقيقه السعيد مولاي رشيد، وسائر أفراد الأسرة الملكية الكريمة.

كما تتقدم بتهانئها الخالصة، وتمنياتها الطيبة للشعب المغربي، ولجميع الشعوب الاسلامية، ضارعة الى الله أن يوحد صفوفها، ويعلي قدرها، وينصرها بنصره المبين، إنه على مايشاء قدير، وبالاجابة جدير.

الإسلام دين التسامح

لم يسجل التاريخ على المسلم الممتثل للكتاب والسنة قلبا وقالبا أنه جار أو ظلم في حكمه، أو قهر أيا كان على اعتناق معتقد هو غير مقتنع به قال الله تبارك وتعالى مخاطبا رسوله الكريم عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم: (انما أنت مذكر لست عليهم بمصيطر) سورة الغاشية، الآيتان: 22-12. فسياق الكتاب يبعد عن الداعية الموجه أسلوب الإكراه والقهر والضغط والإجبار في توجيهه. قال تعالى: (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مومنين) سورة يونس، الآية: 99 . فالهدي الرباني كله رفق ورحمة مبني على الإقناع والحوار الهادف فلا يؤله بعضنا بعضا، بل ينظر كل منا إلى عباد الله بالاحترام فلكل رأيه وقناعته ووجهة نظره.

فالمطلوب من المرشد المكرس نفسه لنصيحة أخيه الإنسان أن يوضح له ما يراه ويعتقده أنه يخدم صالحه في حاله ومعاده رأفة بالموجه بالفتح وحرصا على حسن سلوكه ونقاء معتقده وتهذيب أخلاقه (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) سورة آل عمران، الآية:36. هذا هو الأسلوب الدعوي الرحيم بعباد الله المفند لمزاعم كل من تجنى على الإسلام ظلما ورماه بما هو براء منه في سيرته وهديه الرباني .

صحيح أننا علينا أن لا نفرط في ديننا، وعلينا أن نتمسك به ونعض عليه بالنواجذ أخلاقا وسلوكا ودعوة إليه بالتي هي أحسن، فلا نكره أحدا عليه، ولا نخضع ونستسلم للآخر الذي يعمل ما في وسعه بأن يردنا عن ديننا ويستخدم كل وسائله لتمييع أخلاقنا وانتشار الإباحية في مجتمعنا، ويوظف كل ما لديه لإبعاد ناشئتنا عن الجادة السليمة... مع أننا نحن لا ندعو إلا إلى توحيد الله وامتثال ما جاء به شفيع الأمة ونبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم... ونشرح ما تنطوي عليه هذه الدعوة من بناء الأمة وتهذيب سلوك أفرادها بالحوار العقلاني الذي يقنع من يرى فيه الصواب... ويقتنع بأن هذا الدين فيه صلاح البشرية وخلاصها من كل الأزمات والكروب والفتن والحروب، ويتأكد من أنه يعالج جميع مشاكلها دينا ودنيا إذ يسبر أغوار مشاعر الإنسان ويقدم له ما يصلحه ويهديه إلى الصواب.

إن من ينظر بصدق وتجرد لأحكام الإسلام ويتأمل بعمق في أوامره ونواهيه يجد أنه في كلياته وجزئياته يخدم هذا الكائن البشري فلم يحل له إلا ما هو في مصلحته في عاجله وآجله ولم يحرم عليه إلا ما فيه مضرة عليه في دنياه وأخراه، ويتأكد له أن ما يدعو له هذا الدين يتجاوب مع فطرة الإنسان وينسجم مع حياته.

فعلى الداعية المسلم أن يرشد أخاه إلى الابتعاد عن التعصب لأعراف بالية ومعتقدات فاسدة باطلة وعادات ضالة مذمومة تحيد به عن جادة الحق وتتيه به في متاهات الباطل حاجبة عنه نور الهداية الساطع (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) البقرة، الآية:961.

وليحرص الداعي إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة أن يستدرج مخاطبه للحوار المقنع المرتكز على الدليل القاطع والبرهان الصادق البعيدين من التزمت والتعصب والتحجر الفكري ويطلب محاوره أن يعطيه الحجة المقنعة على تصوره.

(قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) سورة النمل، الآية:66. إنه دين التناصح المبني على الحجة الواضحة فلا يرضى للإنسان أن يسير في متاهات لا تفيد دينا ودنيا محبة منه لصالح هذا الكائن الإنساني الذي خلقه الله من ذكر وأنثى وطلب منه أن ينمي التعارف فيما بينه وبين بني جنسه محددا قيمته ومكانته وفضيلته بالتقوى قال تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) سورة الحجرات الآية:31.

إن هذا التوجه الرحماني مبني على الصراحة والنصيحة الصادقة والحب العميق الذي يحافظ على أخلاق الإنسان وينهى عما يشوب المرء في قوله وعمله قال تعالى (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) سورة النساء، الآية:441. يحذر كتاب الله من الكذب والنفاق وقول الزور ويصرح أن من يمارس هذه الصفات الذميمة ويعامل بها أخاه الإنسان فإنه سيعاقب على هذا العمل المشين الممقوت الذي لا يقره شرع ولاتقبله عدالة.

إن هذا الدين الإسلامي دين حضاري إنساني يمجد الإنسان ويحافظ على علاقة الإنسان بأخيه، ويأمر بالإحسان إليه، قال تعالى (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين)، وحض كتاب الله على حسن الأخلاق ومدح الرسول (ص) على حسن الخلق فقال: (وإنك لعلى خلق عظيم) ودين الله ميسر غير معسر قال عليه الصلاة والسلام: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) فالتسامح وعدم الحرج هما مبدآن معروفان محترمانفي السلوك الإسلامي المهذب قال تبارك الله وتعالى: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)، وهذا الدين يدعو إلى عدم الحرج ويرمي إلى اللطف بعباد الله، سئل عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع فقال له السائل: (يا رسول الله إني حلقت قبل أن أذبح قال: لا حرج، ثم سئل يا رسول إني نحرت قبل أن أرمي، فقال: لا حرج، فما سئل يومئذ عن شيء قدم قبل شيء إلا قال: لا حرج) صحيح سنن الدارمي، وهذا الدين يدعو البشرية للسلم والأمن والاستقرار ونشر المحبة فيما بينها (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة) وقد حظر كتاب الله العدوان على الغير وجعل الله الظلم محرما قال تعالى: (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)، وجاء في الحديث القدسي الذي يرويه رسول الله (ص) عن ربه عز وجل: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا....) وبين للخارج عن دين الإسلام أن له دينه ولنا ديننا بأسلوب واضح، فقال: (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين).

قال المستشرق الفرنسي جوستاف لبون: (حين نبحث في فتوح العرب وأسباب انتصاراتهم سنرى أن القوة لم تكن عاملا في انتشار القرآن فقد ترك العرب الفاتحون المغلوبين أحرارا في أديانهم) هذه شهادة من مستشرق حر في أفكاره غير معتنق لدين الإسلام.

إن ديننا الإسلامي دين سلام وتسامح وتعايش بين جميع أفراد الإنسانية لا عنف فيه ولا إكراه ولاتحجر ولا تزمت (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) قال تعالى: (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) صدق الله العظيم وفقنا الله لما يرضيه

بقلم النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

الشيخ ماء العينين لارباس

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل مع الأقارب

في الأعداد الماضية وقفنا قليلا مع أحكام العدل في القرآن والسنة ودخلنا لبيت الأسرة فبحثنا عن موقع العدل فيها مستندين إلى الآية القرءانية والأحاديث النبوية التي تحدد مناطق العدل ومتى يعتبر التجاوز والخروج عن أحكام العدل في السلوك والتصرف، واستمعنا إلى الزوجات وهن يرفعن أمرهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبين العدل في السلوك، وقرأنا معهن قول الله تعالى: قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما والأحكام القرءانية والنبوية التي شرعت لتحقيق العدل داخل الأسرة، بين الزوجات وبين الأولاد مع بعضهم أو بينهم وبين آبائهم، وهي صور من الحياة الاجتماعية إذا كانت حدثت في القرن الأول فإن مشاهد شبيهة لها تحدث في كل عصر وحين، وفي كل مجتمع على قدر مايكون فيه الخلل في الانضباط وفي التربية الخلقية والدينية المكتسبة من السلوك أكثر من القول.

والإسلام يعتبر الأسرة هي الساحة التي ينبغي أن تكون فيها المشاكل الاجتماعية قليلة مع انتشار الوعي والتربية الصحيحة وإذا كنا نشاهد في المجتمعات الغربية نوعا من السلوك يؤدي بالابن إلى حمل والده أو والدته إلى دور الجمعيات الخيرية والمؤسسات الاجتماعية، وقطع كل صلة له بهما فان التربية الإسلامية تعمل على غرس الروابط العائلية في أعماق القلوب والأفئدة ويتحمل الأبناء الأعباء الكاملة بفرح وسرور وإيثار لاحدود له.

والتوجيه الديني الإسلامي يتجاوز المسؤولية المحدودة بين الأبناء والآباء فينتقل بتحديد الروابط إلى الأقارب متجاوزا الأبوة والبنوة وهو بذلك يضع مصالح الأسرة الكبيرة ضمن الواجبات التي يتحملها المسلم في مجتمعه الصغير، وأن من حق القريب أن تعرفه وأن تتعرف عليه وأن تعقد بينك وبينه صلة، يقول عليه الصلاة والسلام "تعلموا من نسائكم ماتصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة في الأهل قراة في المال منساة في الأثر" ومن حقهم أن تصلهم بما تطيقه من أنواع الصلة وذلك من فرائض الإسلام وأدنى ذلك السلام والزيارة والمراسلة والهدية، وقد جعل الله عز وجل أجر عطائك لأرحامك مضاعفا على سواه، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :"الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان ولقد قرن الله عز وجل في كتابه قطيعة الرحم بالإفساد في الأرض، فقال منكرا على من يفعل ذلك "فهل عسيتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم"الآية:؟؟ من سورة محمد وفي قطيعة الرحم يقول رسول الله صلى الله : "الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله".

أن قطع الإنسان الصلة مع أقاربه دليل على تحلل ذاته وفقدانها العناصر الأساسية الإنسانية كالرحمة والود، ومن لم يحفظ حقوق القريب مع الحث على ذلك دينا فحري به أن يضيع حقوق الله.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

جولة التجيبي بروضات القرافة بالقاهرة

■ في الحلقة الماضية وصف التجيبي روضة الإمام الشافعي رحمه الله وماهي عليه من الفخامة والرونق والإتقان، وذكر أن ممن دفن فيها مع الإمام الشافعي ابني عبد الحكم: عبد الرحمن ومحمد، وهما من كبار علماء المالكية، ومن المشهورين بالإمامة والريادة العلمية، ومحمد المذكور، انتهت إليه الرئاسة في العلم بمصر، وهو ممن امتحن من فقهاء المالكية في فتنة القول بخلق القرآن. ويدل دفن العالمين المالكيين بروضة الامام الشافعي على حسن التعايش والاحترام الذي كان سائدا بين المذاهب السنية بمصر، ومن المعلوم أن أسرة ابن عبد الحكم من الأسر العلمية التي كانت تحمل لواء المذهب المالكي بالديار المصرية، وتتبوأ زعامته عن جدارة وكفاءة عالية، وقد ترجم لعدد من علماء هذه الأسرة القاضي عياض بكتابه "ترتيب المدارك، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك".

وعن أبي عبد الله محمد بن عبد الحكم المدفون بقبة الشافعي، يقول صاحب شجرة النور الزكية: "العالم المبرز، الحجة النظار، رابع المحمدين، وكبير العلماء المحققين، والفقهاء الراسخين، إليه كانت الرحلة، وانتهت إليه الرئاسة بمصر... له تأليف في كثير من فنون العلم، ككتاب أحكام القرآن، وكتاب الشروط، والوثائق، واختصار كتاب أشهب، وكتاب المجالسة أربعة أسفار، وكتاب الرد على الشافعي، وكتاب الرد على أهل العراق، وكتاب القضاة، وكتاب الدعوة والبينات، مات منتصف ذي القعدة سنة:268هـ".

وممن دفن بروضة الشافعي: الملك العزيز بن الملك الناصر صلاح الدين (ت:595هـ)، ووهم محقق الرحلة فظنه صلاح الدين الأيوبي البطل المشهور، وهذا مدفون بدمشق، وبها توفي سنة:589هـ والإحالة على (حسن المحاضرة)للسيوطي لاتفيد ذلك، وأوضح منه.

ما جاء في تاريخ الخلفاء للسيوطي:(ص:302ط:مكتبة الثقافة الدينية . مصر .) يقول التجيبي: "ولهذه الروضة خدام وخدمة، يرتزقون بذلك، وتتصل بها مدرسة هائلة عظيمة الساحة، كثيرة المساكن والمرافق، عامرة بطلبة العلم، كثرهم الله تعالى، وعليها أوقاف عظيمة نفع الله واقفيها بمنه وكرمه".

ثم يقول: "ومما عايناه أيضا من الروضات بالقرافة، روضة الزاهد العابد أبي الفيض ثوبان التوبي الأصل الإخميمي المولد المصري المنزل المرقب بذي النون رحمه الله، توفي بالجيزة وحمل في مركب إلى الفسطاط فدفن بالقرافة المذكورة، سنة ست وأربعين ومائتين، زرنا قبره، ودعونا هنالك بما يرجى قبوله، بفضل الله ورحمته..."

المتحدث عنه هو الصوفي الشهير:(بذي النون المصري)ثوبان بن إبراهيم الإخميمي نوبي الأصل (1) من الموالي، كانت له فصاحة وحكمة، وشعر، أدهل في التصوف حال الوجد والحب المطلق، وأول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية، اتهم بالزندقة، وسجن ببغداد، واستحضره المتوكل العباسي، وسمع كلامه ثم أطلق سراحه، وعاد إلى مصر، وتوفي رحمه الله سنة:245هـ ويبدو أن نقله من الفسطاط إلى قبره الحالي تأخر إلى سنة:246هـ حسبما ذكره التجيبي، وترجمت لذي النون المصري (2) بعض كتب التصوف وغيرها.

يقول التجيبي بعد ذلك: "وروضات هذه القرافة أكثر من أن تحصى، اقتصرت منها على ماذكرته مخافة التطويل، وأكثر المشهورات منها معمورة بمن يخدمها، ويسرج مصابيحها، ويرتزق بسكانها، وربما سكنها الأفاضل، وأهل الخير والصلاح".

فالتجيبي يؤكد على أن الروضات المشهورة بالقرافة ، المقابر . كانت معمورة بمن يخدمها، وهذا ما يفسر لنا أن ابن العربي المعافري الاشبيلي عندما قام برحلته هو ووالده إلى المشرق، وكانت مصر إبان زيارة ابن العربي لها سنة:483هـ تحت الحكم الفبيدي الفاطمي الشيعي، وكان علماء السنة مضطهدين، ويمنعون من التدريس، ومن لقاء الطلبة، والعلماء بمنازلهم، يقول ابن العربي إنه كان يلتقي ببعض علماء السنة خفية بالقرافة عند ضريح معين يتفقان عليه، لأن الناس عادة يقصدون القرافة للترحم على الأموات، أما في عهد المماليك بالقرن السابع الهجري فالوضع مختلف تماما، حيث أصبح بعض العلماء يسكنون ببعض روضات بالقرافة، ولذا يقول التجيبي رحمه الله: "ومن جملة من يسكن روضة منها، وهي روضة الملك الأجل ملك مصر والشام كتبغا، المنصوري الملقب بالعادل، شيخنا المسند الرحال أبو المعالي الأبر قوهي أعاد الله علينا من بركته، وأمتع المسلمين بطول حياته، وهو المسند الأصيل المعمر الصدوق الرحالة المكثر الثقة العدل الرضي أبو المعالي أحمد (3) بن الشيخ الفقيه الإمام المحدث الأوحد القاضي العدل، رفيع الدين أبي محمد... الأبرقوهي المولد المصري، ثم القاهري الأب، الهمداني الأصل، ثم الوبري العجمي النسب، القرفي المنزل، المنعوت بالشهاب خاتمة المسندين الثقات المعمرين اعتنى به أبوه القاضي...

وتحدث التجيبي عن شيوخ أبي المعالي، وذكر مجموعة وافرة منهم، وفي طليعتهم والده القاضي رفيع الدين، وأخوه محمد أبو الفضل وجماعة من شيوخ بغداد وشيراز، والشام، ومصر، وغيرها، فمشيخة أبي المعالي نزيل القرافة مشيخة جليلة، وسبقت الإشارة إلى أن السيوطي وصفه بمسند الديار المصرية، وبعدما ذكر التجيبي شيوخ شيخه أبي المعالي وما أخذه عنهم من المصنفات، والأجزاء والإجازات التي حظي بها منهم..يقول: "أنبأنا الشيخ الجليل المسند المعمر الصدوق الرحالة شهاب الدين أبو المعالي احمد بن الشيخ الفقيه القاضي... الصوفي الشيرازي ثم الابرقوهي بالقرافة الصغرى في جمادى الأولى سنة ست وتسعين وستمائة، قال أخبرنا محمد بن الخضر الواعظ بحران، قال: أخبرنا محمد بن عبد الباقي، قال: أخبرنا الخطيب أبو الحسن علي ابن محمد الأنباري، قال: أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد الفارسي، قال قرئ على محمد بن مخلد وأنا أسمع سنة ثلاثين وثلاثمائة، قال: حدثنا زكرياء عن يحيى الناقد، قال: حدثنا خالد بن خداش، قال: حدثنا حماد بن يزيد عن يحيى بن سعيد عن مالك، عن الزهري عن عبد الله بن محمد بن علي، يقصد محمد بن الحنفية . عن أبيه عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم :"أنه نهى عن متعة النساء يوم خيبر" وأخبرنا الشيخ الامام المفتي علاء الدين أبو الحسن ابن إبراهيم بن داود الشافعي الدمشقي بقراءتي عليه بالمدرسة العمادية، منها، داخل باب الفرج، قال: أخبرتنا الشيخة الصينة ست العرب ابنة المحدث يحيى بن قيماز التاجية الكندية، سماعا، الحديث : "محمد بن علي عن أبيه عن علي، عن النبي صلى الله عليه وسلم "أنه نهى عن متعة النساء يوم خيبر".

وبعد أن ذكر التجيبي أسانيد أخرى لهذا الحديث قال: "وهذا الحديث لمن أعز الأحاديث وأطرفها، وهو من رواية شيخ عمن أخذ عنه، ومن هو أصغر سنا منه، وبيان ذلك أن الشيخ الفقيه القاضي العالم أبا سعيد يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري، وهو من أكابر شيوخ مالك رحمهما الله تعالى روى هذا الحديث عن مالك، وحدث به عنه عن ابن شهاب... وهو من بخت مالك...".

ثم حدثه شيخه أبو المعالي بحديث آخر بسنده المتصل إلي ابي برزة، قال: "أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم" فقلت:"علمني شيئا لعل الله عز وجل أن ينفعني به، قال: "انظر مايؤذي المسلمين فنحِّه عن الطريق" قال: واللفظ للخزاعني، ثم أتى بأسانيد أخرى لهذا الحديث، وقال حديث صحيح أخرجه الامام أبو الحسين مسلم في صحيحه عن زهير بن حرب عن يحيى بن سعيد عن أبان بن صمعة، عن يحيى بن يحيى، عن أبي بكر ابن شعيب جميعا عن أبي الوازع، واسمه جابر، عن أبي برزة، واسمه نضلة، رضي الله عنه".

ثم يستمر التجيبي في الأخذ عن شيخه أبي المعالي الشيرازي الأبرقوهي، المصري يستمع إليه مع غيره من المحدثين بروضة من روضات القرافة الصغرى بالقاهرة المغزية. وإلى لقاء آخر معه بحول الله تعالى.

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

الهوامش:

1. نسبة إلى النوبة: منطقة صحراوية تمتد شمال السودان على حوض النيل بين الخرطوم وأسوان، وهو نوبي اخميمي، واخميم مدينة علي شاطئ النيل بمحافظة سوهاج اشتهرت بقصب السكر وبمنسوجاتها الصوفية.

2. (ذو النون) هو نبي الله يونس المذكور في سورة الأنبياء، وذو النون أسرة أمازيغية من هوارة، ومن ملوك الطوائف بالأندلس حكام طليطلة: (485423هـ) واشهرهم المامون بن ذي النون، وخلفه حفيده يحيى.

3. قال عنه السيوطي في حسن المحاضرة: ابو المعالي احمد بن اسحاق الأبرهوقي مسند الديار المصرية، تفرد بأشياء مات بمكة حاجا سنة احدى وسبعمائة، ذكره فيمن كان بمصر من المحدثين الذين لم يبلغوا درجة الحفظ، والمنفردين بعلو الاسناد.ج:1،329، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

(تتمة ص:1)

إن التكامل الاجتماعي في محيط الأسرة له قيمة كبيرة في التماسك الخلقي ، إننا جميعا نعترف بأن الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، وهي تقوم على جذور ثابتة في الفطرة الإنسانية، وميول قائمة على ثوابت المودة والرحمة والعطف والنسب، وهذه العوامل هي التي تدفع إلى بناء مجموعة من قواعد الآداب والأخلاق الخاصة، فإذا انضمت هذه إلى غيرها من البناءات الأسرية الأخرى كونت مجتمعا ساميا في سلوكه ومعاملاته وعلاقاته، وقد يصبح ذلك المجتمع مرصدا لمتتبع مسيرته الإنسانية والخلقية لتكون نموذجا يقتدى، والقاعدة الصلبة لهذا المجتمع تكون دائما هي الأسرة فمنها تنطلق كل المحامد وتتجاوز حدودها إلى غيرها.

إن القرابة العائلية تفرض مسؤولية اجتماعية لايمكن التحلل منها إلا بالضعف المادي وقلة ذات اليد.

في بداية الحياة الإسلامية وقبل وضع النظام النهائي لثروة الأسرة وتقسيمها جاء القرآن يوصي بالاهتمام بذوي القربى، وضمهم إلى دائرة الوالدين، فهذه الآية 180 من سورة البقرة جاء فيها: "الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف" فجعل الله عز وجل الوصية للأقربين مع الوصية للوالدين، فدمج جميع الأقربين في الأسرة عند اقتسام الثروة بعد الوفاة، ولما استقرت الحياة العامة وأخذت التربية الإسلامية مواقعها في الأسرة والمجتمع جاءت آيات أخرى تضع النظام النهائي لاقتسام الثروة داخل الأسرة وحددت الالتزامات والحقوق ووضعت مصابيح العدل والعدالة في هذا الجانب فقال الله عز وجل:"يوصيكم الله في أولادكم، للذكر مثل حظ الأنثيين" إلى آخر الآيات الواردة في سورة النساء ابتداء من الآية رقم 11، وبذلك صارت المواريث فريضة محددة من الله عزوجل يأخذها أهلها حتما دون منة أو حضوة من صاحب الثروة، ولتثبيت هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث" كما رواه أصحاب السنن عن عمرو بن خارجة، وإذا كانت التركة تقسم على مجموعة معلومة داخل الأسرة انطلاقا من آيات المواريث، فإن التوجيه الديني الإسلامي والعدل الرباني لم ينس أولئك الأفراد الذين كانوا بالأمس يأخذون نصيبهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ماحق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده"قال ابن عمر رضي الله عنه: مامرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إلا وعندي وصيتي.

وحتى لايكون هناك إجحاف بالوارث في الوصية توصل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع الحدود وليضع مقياس العدل في مكانها، روى في الصحيحين أن سعدا قال:يارسول الله، إن لي مالا، ولايرثني إلا ابنة لي، أفأوصي بثلثي مالي؟قال: "لا" قال فبالشطر، قال:"لا" قال فالثلث: قال: "الثلث، والثلث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس" وفي صحيح البخاري أن ابن عباس قال: لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع، وهو يشير إلى أنه يستحسن النقص من الثلث لتحقيق تنفيذ التوجيه النبوي "والثلث كثير".

إذا كان هذا التوجيه الديني في التصرف في المال بعد الوفاة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي المومن بأن يكون عادلا مع أقربائه في حياته يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لرجل كان له مال محدود ويريد أن يتصدق به كاملا "ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك" وهكذا أدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم القرابة بعد الزوج والأولاد في حقهم في المال المتصدق به، ووضعه صلى الله عليه وسلم القرابة في قائمة المتصدق عليهم لأنهم من الأسرة، ومن العدل الالتفات إليهم على قدر الإمكان.

بهذه الصور عن التوجيه الديني في معاملة الأقربين نضع لبنة صغيرة في نشر ثقافة الإسلام في التعامل الأسري ونضيئ مصباحا في طريق المسيرة التربوية لعله يرشد بعض الناس إلى بعض الثغرات في السلوك الاجتماعي، والله الهادي إلى سواء السبيل، وإلى العدد المقبل إن شاء الله.

الوثاق

القوة المدركة

للعلامة: الطيب بن كيران رحمه الله

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

■ القوة المدركة في الحيوان إما ظاهرة وهي الحواس الخمس أعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس، وإما باطنة ونعني بها ما يكمل به الإدراك الباطني، سواء كانت مدركة بنفسها او معينة في الإدراك، وهي أيضا خمس الأولى المس المشترك وهي قوة ترسم فيها صور الجزئيات المحسوسة بالحواس الخمس الظاهرة في حال ظهورها، والإحساس بها، فتطالع النفس تلك الجزئيات فتدركها من هذه القوة، فالحس المشترك آلة في إدراكها للنفس ومعين لها على الإدراك، فلذا سمى مدركا.

ولأجل اجتماع صور المحسوسات في هذه القوة قيل انها الحاكمة على بعضها ببعض إيجابا أو سلبا، كالحكم بأن هذا الأصفر هو هذا الحلو أو بأن هذا المحسوس ليس هذا الملون فإن الحاكم إذا اجتمع عنده الطرفان فأدركهما أمكن أن يحكم بينها إيجابا أو سلبا، بخلاف ما إذا لم يجتمعا عنده بل كانا مفترقين في آلتين مختلفتين.

والحس المشترك هو الجامع لصور المحسوسات كلها، فهو الحاكم بينها وفيه نظر، لأن الحاكم لابد أن يدرك النسبة والحكم أيضا، وليس ذلك من الصور المحسوسات فالصواب أن الحكم بين المحسوسات للوهم أو العقل لما سنذكره.

الثانية الخيال وهو قوة تحفظ الصور المحسوسة بعد غيبتها عن الحس المشترك فأما الحس المشترك إنما ترسم فيه المحسوسات كما تقدم مادامت حاظرة محسوسة فإذا غابت انتقلت صورها إلى الخيال فاختزنت فيه، فإذا عاد الحضور والإحساس رجعت تلك الصور إلى الحس المشترك ولذلك يعرف من يرى في زمان ثم يغيب ثم يحضر، فإن صورته إذا كانت مرتسمة في الحس المشترك وأدركتها النفس ثم غابت واختزنت في الخيال ثم حضرت فعادت إلى الحس المشترك فشاهدتها النفس مرة أخرى عرفت أنها هي التي كانت مشاهدة لها أولا.

❖❖❖❖

والحس المشترك مع الحواس الخمس الظاهرة بمنزلة صهريج تصب فيه خمس أنابيب والخيال بمنزلة مختزن يحفظ فيه ما يجتمع في ذلك الصهريج من الماء حتى يحتاج إليه.

❖❖❖❖

الثالثة الموهم وهو قوة تدرك المعاذ الجزئية الموجودة في المحسوسات من غير أن تتأدى إليها من طرف الحواس الظاهرة كصداقة زيد وعداوته آلتين يحسهما الإنسان من نفسه ويجدهما في باطنه، بخلاف معنى إدراك الصداقة والعداوة في تصور معناهما فإن ذلك للعقل لا للوهم وهذه القوة أعني الوهم غير خاصة بالإنسان فلذلك تدرك الشاة عداوة الذئب وتدرك السخلة أن الشاة الصغيرة محبة من أمها، قيل أيضا وهي الحاكمة بين المحسوسات كالحكم بأن هذا الأصفر هو هذا الحلو وليس إياه، فإن هذا الحكم معنى جزئي.

فإن قيل كيف يكون حاكما بذلك والحاكم لابد له أن يحظره الطرفان كما تقدم، والوهم لا يدرك المحسوسات قلنا القوى الباطنة عند منبتها بمنزلة المرايا المتقابلة فنعكس في كل منها ما ارتسم في الأخر فالوهم لما انعكست إليه الصور المحسوسة المرتسمة في الحس المشترك حكم بينهما فإن قيل فيجوز أيضا أن يكون الحكم المدرك للوهم قد انعكس في الحس المشترك فحكم به بين المحسوسات المرتسمة وقد مر لك إبطال أ ن يكون الحس المشترك هو الحاكم بينهما.

❖❖❖❖

قلنا الحكم متأخر عن الطرفين قطعا فلم يحكم الوهم بين تلك المحسوسات حتى انعكست صورها، فلو حكم الحس المشترك بينهما أيضا بعد ذلك لكان حكما لا فائدة فيه إذ هو حاصل قبل بغيره، ويجوز أن يكون الحكم للعقل كما يات،

❖❖❖❖

الرابعة الحافظة وهي قوة تجمع فيها المعاني الجزءية المدركة بالوهم فتحفظ فيها فهي خزانة لها كالخيال بالنسبة إلى الحس

❖❖❖❖

المشترك الخامسة المتخيلة وهي قوة تتصرف في الصور والمعاني ونعني بالصور ما يمكن إدراكه بإحدى الحواس الخمس الظاهرة وبالمعاني مالا يمكن وتصرف المتخيلة بالتفصيل والتركيب فتعرف بين المجتمع وتجمع بين المفترق فتصور أشياء لا حقيقة لها في الخارج كإنسان له رأسان أولا رأس له وحيوان نصفه إنسان ونصفه فرس ودائمة العمل فلا تسكن نوما ولا يقظة وليس عملها منضبطا بل النفس تستعملها على أي نظام تريد فإن استعملتها بواسطة العقل في ضم بعض مدركاته إلى بعض وفصله عنه سميت مفكرة، وإذا استعملتها في المحسوسات مطلقا إن ظاهرة أو باطنة بواسطة الوهم سميت مخيلة،

❖❖❖❖

فإن قيل كيف تستعملها بواسطة الوهم في المحسوسات مع أنها ليست مدركة لها فالجواب ما تقدم من أن القوة الباطنة بمنزلة المرايا المتقابلة ينعكس في كل ما ارتسم في الأخرى، فتكون المحسوسات مرتسمة في الوهم بالإنعكاس، والوهم هو سلطان تلك القوة فله تصرف في مدركاتها بل تسلط على مدركات القوة العاقلة فينازعها فيحكم عليها بخلاف أحكامها فمن سخر القوة الوهمية للعاقلة بحيث صارت مطاوعة لها فقد فاز فوزا عظيما، لأن العاقلة لا تغلط بخلاف الوهمية.

❖❖❖❖

وأما القوة العقلية فهي القوة المدركة للمفهومات الكلية أي المعاني التي لا يمنع نفس تصورها من صرفها على كثيرين كمفهوم الإنسان أعني الحيوان الناطق فإنه صادق على كثيرين كزيد وعمرو وكمفهوم الفرس أي الحيوان الصاهل بخلاف نحو زيد فإنه ذاته المعنية يستحيل صرفها على كثيرين فهو جزءي، فلا يدركه العقل وهذه القوة هي الحاكمة بين الجزءيات إيجابا وسلبا لأنها مدركات لها نحو الإنسان حيوان أو ليس بفرس وكذا بين الكل والجزء كزيد الإنسان كما تقدم من الانطباع عند المقابلة وبالعقل امتاز الإنسان عن سائر الحيوانات

لولا العقول لكان أدنى ضَيْغَم

أدنى إلى شرف من الإنسان

ومل النفس الناطقة هي العقل أو غيره لأن النفس الناطقة جوهر موجود في المجنون والعقل عرض مفقود، ثم كان من حقهم أن يزيدوا قوة أخرى تكون خزانة للكليات المدركة للعقل لتحفظ فيها حتى يتمكن العقل من الإلتفات إليها واستحضارها متى أراد ذلك على قياس الحافظة للوهم والخيال للحس المشترك، وجميع ما ذكر قال به الحكماء والطبائعيون، ونحن نقول إن كان ذلك مطابق للواقع فهو يجعل الفاعل المحتار لحكيم الذي أتقن كل شيء وهو بكل خلق عليم واما أدلتهم على إثبات هذه القوى فهي على اختلال كثير منها مبنية على مقدمات فاسدة كنفي الفاعل المختار ودعوى أن الواحد لا يصدر عنه الواحد ونحو ذلك وبالله التوفيق.

❖❖❖❖

وبعد فالجامع بين الجملتين كما قال السكاك عقلي، وهو أمر بسببه يقتضي العقل اجتماعهما عند القوة المفكرة، ووهمي وهو أمر يقتضي بسببه الوهم ذلك، وخيالي وهو أمر بسببه يقتضي الخيال ذلك مما يتوهم من أنه أراد بالجامع العقلي ما يدرك بالعقل من الكليات وبالجامع الوهمي ما يدرك، فالوهم من المعاني الجزءية وبالجامع الخيالي ما يكون صورته مرتسمة في الخيال فاسد لأنه جعل كلا من الإتحاد والتماثل والتضايف جامعا عقليا كلية كانت أو جزءية وجعل كلا من شبه التماثل والتضاد وشبهه مطلقا أيضا جامعا وهميا وجعل الخيالي تقارب الصور في الخيال وليس هو صورة مرتسمة في الخيال كما لا يخفى ولما كان العقل.

❖❖❖❖

يميز بين الملتبسات وتنسب إليه الأمور الصحيحة المطابقة للواقع، وكان كلا من الاتحاد والتماثل والتضايف سببا في نفسه للاجتماع نسبت الى العقل ولما كان الوهم يلتبس عليه الشيء بما يناسبه وشبه التماثل والتضاد وشبهه مناسبة لتلك الأشياء المقتضية في نفسها للاجتماع نسبت إلى الوهم.

❖❖❖❖

ولما كان الخيال محلا لتقارن صور المحسوسات وكانت أصلا للمعقولات والموهومات جعل تقارن الصور كلية كانت أو جزءية محسوسة كانت أو موهومة جامعا خياليا.

❖❖❖❖

والحاصل أن الجمع إما سبب التقارن في خزانة الصور أولاوحَ فأما أن يكون بواسطة أمر يقتضيه ويناسبه في نفس الأمر فهو الجامع العقلي، أولا فهو الجامع الوهمي كما قاله السيد والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم هـ.

في ظلال الحديث:

الحديث الرابع والتسعون: من أسباب الدخول إلى الجنة

■إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن طلحة بن عبيد الله أن أعرابيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثائر الرأس فقال يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة فقال الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئا فقال أخبرني مافرض الله علي من الصيام فقال شهر رمضان إلا أن تطوع شيئا فقال أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة فقال فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم شرائع الإسلام قال والذي أكرمك لا أتطوع شيئا ولا أنقص مما فرض الله علي شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق" رواه البخاري.

الجزء الأول

تخريج الحديث

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإيمان،ج1/ص26/ح46، وفي الصوم، باب وجوب صوم رمضان، ج2/ص669/ح1792، وفي الشهادات، باب كيف يستحلف، ج2/ص951/ح2532، وفي الحيل باب في الزكاة وأن لايفرق بين مجتمع، ج6/ص2552/ح6556. وأخرجه مسلم في الإيمان، باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام. والنسائي في سننه، في الصلاة، باب كم فرضت في اليوم والليلة، ج1/ص228/ح458، وفي الصيام ج4/ص121/ح2090، وفي الإيمان وشرائعه، ج8/ص119/ح5028. وابن حبان في صحيحه ج5/ص13/ح1724، وابن خزيمة في صحيحه ج1/ص158//ح306وابن ماجة في سننه ج1/ص449/ح1401. وأبي داود في سننه، في الصلاة، باب فرض الصلاة، ج1/ص107/ح391، وابن حنبل في مسنده ج1/ص162//ح1390. ومالك في الموطأ، في النداء للصلاة، جامع االترغيب في الصلاة، ج1/ص124/ح268. وغيرهم.

درجة الحديث:

حديث شريف مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم صحيح، باتفاق الشيخين وغيرهما.

سند الحديث

خصوصية سند الحديث: رجال إسناد هذا الحديث كلهم مدنيون، ومالك والد أبي سهيل هو ابن أبي عامر الأصبحي حليف طلحة بن عبيد الله، وإسماعيل هو ابن أبي أويس ابن أخت الإمام مالك، فهو من رواية إسماعيل عن خاله عن عمه عن أبيه عن حليفه، فهو مسلسل بالأقارب كما هو مسلسل بالبلد.

والحديث أخرجه البخاري في صحيحه فقال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن أبي سهيل عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله، وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا قتيبة بن سعيد: الشيخ الحافظ محدث خراسان أبو رجاء الثقفي مولاهم البلخي البغلاني ولد سنة 149، وسمع من مالك والليث وابن لهيعة وشريك وطبقتهم وعنه الجماعة سوى ابن ماجة وموسى بن هارون وخلائق وكان ثقة عالما صاحب حديث ورحلات وكان غنيا متمولا. قال ابن سيار وكان ثبتا صاحب سنة كتب الحديث عن ثلاث طبقات وقال ابن معين ثقة وقال النسائي ثقة مأمون مات في شعبان سنة أربعين ومائتين (240هـ) رحمه الله تعالى عن إحدى وتسعين سنة.

حدثنا إسماعيل بن جعفر : أخو محمد وكثير ويحيى أبو إبراهيم المدني الأنصاري الزرقي مولاهم كان بغداد. قال أبو زرعة الرازي هو ثقة مدني وقال عباس سمعت يحيى بن معين يقول إسماعيل بن جعفر وأخوه محمد بن جعفر ثقتان قال عبد الرحمن أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل فيما كتب إلي سألت أبي عن إسماعيل بن جعفر قال ما أعلم إلا خيرا قلت ثقة قال نعم قال أبو بكر سمعت يحيى بن معين يقول هو ثقة مأمون قليل الخطأ صدوق اللسان وهو صاحب الخمسمائة الحديث التي سمعها منه الناس وكان من أهل المدينة فقدم بغداد فلم يزل بها حتى مات سنة(180هـ) روى له الجماعة.

عن أبي سهيل: هو أبو سهيل نافع بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني حليف بني تيم عم مالك بن أنس وأخوه أويس بن مالك والربيع بن مالك روى عن عدد من الصحابة والتابعين، ذكره محمد بن سعد في الطبقة الرابعة من أهل المدينة وقال عبد الله بن أحمد ابن حنبل عن أبيه من الثقات وقال أبو حاتم والنسائي ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات وقال الواقدي كان يؤخذ عنه القراءة بالمدينة وقال ابن خراش كان صدوقا قال الواقدي هلك في إمارة أبي العباس بعد الأربعين روى له الجماعة.

عن أبيه: هو أبو أنس مالك بن ابي عامر الأصبحي من أصحاب عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وهو جد مالك بن أنس من متقنى أهل المدينة، ذكره محمد بن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة وقال فرض له عثمان وقال النسائي ثقة وذكره ابن حبان في كتاب الثقات. وقال مالك كان جدي مالك بن أبي عامر ممن قرأ في زمن عثمان وكان يكتب المصاحف، توفي رحمه الله حين اجتمع الناس على عبد الملك بن مروان يعني سنة 74 روى له الجماعة.

عن طلحة بن عبيد الله: هو أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان، القرشي التيمي إحد العشرة المبشرين بالجنة واحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام واحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر وأحد الستة أصحاب الشورى، شهد المشاهد مع رسول الله إلا بدرا وأسهم له فيها. مات في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين من الهجرة وله أربع وستون سنة.

أهمية الحديث

هذا حديث عظيم، ذو أهمية بالغة، حيث من خلاله وبأسلوب تربوي عظيم، يبين الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم مدى يسر وشمولية هذا الدين، لكن هو في نفس الوقت من الأحاديث التي قد يركبها بعض من غابت عنه شمولية الإسلام ليقدم لنا الدين مبتورا بحجة "لايكلف الله نفسا إلا وسعها ويستدل بهذا الحديث الواقعة، ولكن في غياب ذكر سياقه وبذلك يشوه معناه مما يؤدي إلى بتر وتشويه مفهوم وحقيقة الإسلام.

مفردات الحديث

"ثائر الرأس:: أي منتشر شعر الرأس غير مرجلة والمراد أن شعره متفرق من ترك الرفاهية، وأطال السفر.

المعنى العام

قصة الحديث من خلال السيرة:

تذكر السيرة النبوية العطرة، عند ذكر قدوم الوفود، أن وفد بني سعد بن بكر قدم على رسول الله (ﷺ) وفيهم: ضمام بن ثعلبة.

قال الراوي: بينما نحن جلوس مع النبي (ﷺ) في المسجد، إذ دخل جماعة ومعهم رجل على جمل فأناخه في المسجد، ثم عقله ثم التفت إلينا وقال: أيكم محمد؟ والنبي (ﷺ) متكيء بين ظهرانينا. فقلنا وقد أشرنا إليه (ﷺ):هذا. فالتفت الرجل إليه وقال: يا ابن عبد المطلب؟ فقال له النبي (ﷺ): قد أجبتك. قال الرجل: إني سائلك ومشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك. فقال (ﷺ): سل عما بدا لك. قال: أسألك بربك ورب من قبلك، الله أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال (ﷺ): اللهم نعم. فقال: ناشدتك بالله، الله أمرك أن تصوم هذا الشهر من السنة؟ قال (ﷺ): اللهم نعم. قال: ناشدتك بالله، الله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا وتقسمها على فقرائنا؟ قال (ﷺ): اللهم نعم. فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي مع هذه الجماعة، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر. فأجازهم رسول الله (ﷺ) كما يجيز كل وفد وأكرمهم، ثم انصرفوا وانصرف معهم الرجل راجعا إلى بعيره. فقال رسول الله (ﷺ) حين ولي: إن يصدق ذو العقيصتين (أي ذو ظفيرتي شعر الرأس)يدخل الجنة، وكان ضمام رجلا جلدا أشقر ذا غديرتين، ثم أتى بعيره فأطلق عقاله ثم خرج، حتى قدم على قومه بجماعته فاجتمعوا إليه، وكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى. فقالوا: مه ياضمام. فقال: ويلكم أنهما مايضران ولاينفعان. وإن الله قد بعث رسولا وقد أنزل عليه كتابا استنقذكم مما كنتم فيه، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأني جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه.

قال الراوي: فهوالله ما أمسى في ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلما.

وانطلاقا من هذه الخاتمة وقبل بسط الموضوع، ومحاولة استقراء ألفاظ هذا الحديث العظيم الذي قد يلتبس على بعض الناس، ويظنون أنه قد أغفل بعض الأمور، أو أنه حدد الفرائض وبصفة نهائية، وما لم يذكر ها هنا فليس من الفرائض، قبل ذلك كله، مايلفت انتباهنا هو الفهم السليم لمقتضيات العقيدة وأسس الدين، إذ لو اقتصر فهم الرجل على ما يزعمه بعض الناس اليوم، لما رجع إلى قومه داعيا إلى الله عز وجل، نابذا الشرك ومقتضياته، بدعوة قومه إلى نبذ عبادة الأوثان، وإقامة العبودية للرحمن، وهذا مايؤكد لنا أن الدين شامل شمولي كامل متكامل، لايقبل التجزيء ولاالتبعيض، مع الإشارة إلى أن اليسر والتدرج في الأمور لايعني البتة، التخلي عن أساسيات الدين وفرائضه...

وهذا ما تؤكده لنا السيرة النبوية العطرة، خصوصا المرحلة المكية منها حيث أننا نجد أن الدين يبنى في قلوب المؤمنين لبنة لبنة، بتدرج ويسر...

وأن الرجل سأل النبي (ﷺ) عن حقيقة الإسلام، وإنما لم يذكر له الشهادة، والحج وهما من أركان الإسلام، لأنه علم أنه يعلمها أو علم أنه إنما يسأل عن الشرائع الفعلية، أو ذكرها ولم ينقلها الراوي لشهرتها، والشاهد عندنا ما جاء في الحديث أن النبي (ﷺ) ذكر له شرائع الإسلام فدخل فيه باقي المفروضات بل والمندوبات.

فتضمنت هذه الرواية أن في القصة أشياء أجملت، منها بيان نصب الزكاة فإنها لم تفسر، وكذا أسماء الصلوات، وكان السبب فيه شهرة ذلك عندهم، أو القصد من القصة بيان أن المتمسك بالفرائض ناج وإن لم يفعل النوافل.

فإن قيل أما فلاحه بأنه لاينقص فواضح، وأما بأن لا يزيد فكيف يصح؟ أجاب النووي بأن أثبت له الفلاح لأنه أتى بما عليه. وليس فيه أنه إذا أتى بزائد على ذلك لايكون مفلحا، لأنه إذا أفلح بالواجب ففلاحه بالمندوب مع الواجب أولى. فإن قيل فكيف أقره على حلفه وقد ورد النكير على من حلف أن لايفعل خيرا؟ أجيب بأن ذلك مختلف باختلاف الأحوال والأشخاص، وهذا جار على الأصل بأنه لا إثم علىَ غير تارك الفرائض، فهو مفلح وإن كان غيره أكثر فلاحا منه.

وفي الجزء المقبل سنحاول بإذن الله تعالى أن نبسط ثنايا الموضوع مستعينين ببعض النصوص والقواعد التي يستدل بها البعض غافلين أو جاهلين وهم يتكلمون عن أمر خطير بل غاية في الخطورة وهو تبعيض وتجزيء هذا الدين، وهم يزعمون أنهم يتكلمون عن الوسطية والاعتدال واليسر والتدرج، ممتطين عواهن النصوص مثل الذي بين أيدينا، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه...

والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

عيد الأضحى

■ إعداد الأستاذ: الطيب اكحل العيون

■ الله أكبر (سبعا). الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله العظيم وبحمده بكرة وأصيلا. لاإله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولانعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

الله أكبر ماأذن إبراهيم الخليل عليه السلام في الناس بالحج، فأتوه من كل فج عميق رجالا وركبانا. الله أكبر ما دعا الخليل، وبلغ عنه ربه كل الأرض، وما دعا الخليل لأرض الحرم بالبركة والخير، فاستجاب له ربه، وتحولت من قفر إلى عمران، ومن فقر إلى غنى، إشارة منه تعالى إلى أن الغنى الأكبر إنما هو حج بيت الله الحرام، وزيارته في بيته المقدس المطهر للطائفين والعاكفين.

الله أكبر ما اجتمعت أجناس المسلمين، واحتشدت في مكة البلد الحرام، وطافوا بالبيت داعين مخبتين منكسرين، فرفعهم الله قدرا، وأعزهم جانبا، ووالاهم برضاه وحبه وغفرانه، فنعم الجزاء ونعم المجازي سبحانه وتعالى. الله أكبر (ثلاثا).

الله أكبر ما أحرم الحجاج وهجروا كل زينة الدنيا، مقبلين على ربهم في يوم الحشر الأكبر، معظمين لشعائره، مطيعين لأمره، ذاكرين لفضله وعدله، مفوضين أمورهم إليه، متبرئين من حولهم وقوتهم إلى حول الله وقوته. الله أكبر (ثلاثا).

الله أكبر ماضج الحجيج بالدعاء على عرفات، وباهى الله تعالى بهم ملائكته، وأعطاهم ما أرادوا وفوق ما أرادوا، وغفر لمسيئهم إكراما لمحسنهم، وذل الشيطان واندحر واغتاظ لما رأى من سحائب الغفران والحب الفائضة من الله تعالى على عباده المتوجهين إليه.

الحمد لله رب العالمين، الكريم الوهاب، الفتاح النافع المقيت، والصلاة والسلام على سيدنا محمد البشير النذير، السراج المنير، الرؤوف الرحيم وعلى اله وصحابته وتابعيه ومن والاه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له، كل الأكوان في قبضته، له أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه أجمعين..

أما بعد...

فيا إخوة الإسلام. اليوم يوم من أيام الله، هو يوم عيد الأضحى المبارك، أعاده الله علينا وعليكم وعلى أمة الإسلام باليمن والبركات... ويوم عيد الأضحى يوم مليء بالعبر والعظات والخيرات.

فهو تمام الليالي العشر التي أقسم الله تعالى بها في كتابه فقال: (والفجر وليال عشر) ولم يقسم الله تعالى بها إلا لعظمتها وقدرها الرفيع عنده، ومضاعفة ثواب الأعمال الصالحة فيها، وهي العشر الأوائل من ذي الحجة التي يقع فيها الحج إلى بيت الله الحرام. فمن أحيا الليالي العشر بصالح الأعمال، وفطام النفس عن الحرام والمكروه فقد فاز، وأصبح في يوم العاشر في يوم عيد حين ضحى بشهوات نفسه في سبيل مرضاة ربه، ومن لم يسعده الله بإحيائها فليحذر أن تأخذه الغفلة في أعوامه المقبلة، والله وحده الهادي إلى سواء السبيل.

وهو يوم عيد لحجاج بيت الله الحرام ولمن لم يستطع أن يكون معهم في وفد الله إلى بيته... فالحجاج قد خرجوا من ديارهم، وهجروا أوطانهم وأموالهم وأولادهم، وتجردوا من كل زينة، وتوحد مظهرهم أمام الله طائفين وساعين وملبين وواقفين في عرفات، وداعين الله لهم ولجميع المسلمين، فعسى أن تصيبنا دعوتهم فنكون في خير وفي يوم عيد. ومن لم يحج فهو متوجه إلى الله بقلبه وروحه عند مناسكه وحرماته في الأرض الطاهرة، يدعو مع الداعين، ويرغب مع الراغبين، ويسأل الله من فيضه أن يجعله ضمن وفده في عام مقبل إن شاء بفضله وكرمه. فهو خير على كل حال، وتوحيد لقلوب المسلمين على هدف واحد هو الله، وليس بعد ذلك خير لطالب خير.

وهو يوم يذكرنا بأن العمر قصير، والصحة غير مواتية، وقد خرج الحجاج في ملابسهم التي تشبه أكفان الموتى لتذكرنا بهذا المعنى، فتحث القادر على الحج بالتعجيل وعدم التراخي، خشية فوات العمر دون أداء ركن من أركان الإسلام هو أعظمها وأشملها خيرا وبركة قال تعالى: (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا".

وهو يذكرنا كذلك بأن الحج عمل خالص لله تعالى، ولابتغاء المنافع التي تعين على طاعة الله تعالى، وليس الحج شارة ولا علامة تجارية يقصد بها نداء الرجل بلقب (الحاج)، واشتهاره بذلك بين التجار أو العمال أو الموظفين، رغبة في الحصول على مكاسب دنيوية زائلة، فهذا حج مردود لم يرد به صاحبه وجه الله، وإنما أراد الدنيا بعمل الآخرة قال تعالى : "من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب). فهذا هو المحروم الذي اشترى الدنئ بالعظيم من لمصلحة المجموع دون انتظار جزاء ولاشكور من مخلوق.. لاتعمل لنفسك وحدها، بل اعمل لها وللأمة، ولاتنتظر ثوابا من أحد، لا تقل إن كنت موظفا: (على قد فلوسهم). لاتقل إن كنت تاجرا: (نفعني وانفعك). بل اعمل الخير للناس لوجه الله لوجه الخير، ولو آذاك الناس، أو لم ينفعوك.

لقد هجمت خمس جيوش على القرية التي سكنها لوط ابن أخي إبراهيم عليهما السلام فأسروا من فيها وفيهم لوط، وتعقب إبراهيم عليه السلام ومن معه تلك الجيوش الخمسة وطاردوها حتى تركوا الأموال والأسرى، وحملهم إبراهيم إلى بلدهم، فقابله ملك البلد وكان هاربا، فعرض عليه ان يأخذ الأسرى، ويأخذ الخليل الأموال جزاء لما عمل. فقال إبراهيم: (رفعت يدي إلى الرب الإله العلي القدير لا آخذ خيطا ولا شراك نعل من كل، هو لك، لئلا تقول: أنا أغنيت إبراهيم) يا لعظمة الإيمان والعمل لله وحده... هو يخشى أن تكون عليه منة من مخلوق فيما أعطاه الله، ويرفض أجرا حلالا لأنه يريد ماعند الله، وهذا هو سلوك الرسول (ﷺ) حين قال لأصحابه فيما أخرجه البخاري: "والله مالي من دنياكم إلا الخمس، وهو مردود فيكم".

لقد كان رسول الله (ﷺ) يأخذ خمس الغنائم بأمر القرآن : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول) ولكن هذا الخمس لم يكن أجرا لرسول الله (ﷺ)، ولا ضريبة على المقاتلين كما يهذي بهذا أعداء الإسلام، وإنما كان (ﷺ) يرده على الناس، فيعطي من لايكفيه نصيبه، ويطعم أهل الصفة، ويواسي الأرامل واليتامى، حتى لقد طلبت منه ابنته الزهراء رضي الله عنها هي وزوجها بعض الخمس يستعينان به على الحياة فقال فيما أخرج الإمام أحمد: "والله لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع".

ثلاثة أسس هي التي وصفها الخليل عليه السلام بأمر ربه للإسلام، هي: الطاعة المطلقة، والإيمان المطلق، والعمل لمصلحة المجموع في سبيل الله دون انتظار جزاء من مخلوق.. وهذه الأسس الثلاثة هي أصول الإسلام الخاتم للديانات والرسالات، أكملها محمد (ﷺ) بتشريعاتها وفروعها، ووسائل تحقيقها على الصورة العالمية التي نراها، ذخرا هائلا للإنسانية وللعقل الحر الكريم. وهذه عبرة العبر من يوم الأضحى، أن نعود بالذاكرة إلى التاريخ، فننظر في أرض الحرم وكيف كانت، وماذا جرى عليها، وماذا وضع فيها الخليل من أصول الإسلام، وكيف أكملها رسول الله (ﷺ)، وهل نحن ذاكرون لذلك كله عاملون به أم نحن منحرفون عن الطريق مولعون بالأوهام والوساوس الشيطانية التي أضلتنا حتى اتخذنا الدين سلعة من سلع التجارة نستزيد بها من الدنيا.

فاتقوا الله عباد الله، وحجوا قبل ألا تحجوا، فقد وعد رسول الله (ﷺ) الحجاج بالمغفرة الشاملة فقال: "من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه" والرفث: قبيح الكلام، والفسوق: الخروج عن جادة الإسلام بالمعصية.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم ولكل المسلمين.

إبراهيم عليه السلام: (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل) ولقد جعل الله تعالى أمة محمد (ﷺ) أولى الناس بحماية دين إبراهيم عليه السلام من التحريف فقال: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي) يعني محمد (ﷺ) .. فما هو الأساس الذي وضعه الخليل عليه السلام لنكون أولى برعايته وحمايته والحفاظ عليه كما أراد الله سبحانه وتعالى.

أول أساس هو الطاعة المطلقة لله تعالى دون انتظار لحكمة الأمر الذي أمرنا به، ولا الاقتناع به، بل على المسلم أن يطيع أولا، ثم بعد ذلك يعلمه الله حكمة الأمر. ودليل ذلك في سلوك إبراهيم الخليل أنه لما صدر إليه الأمر بالخروج من بلده لم يسأل الوحي: إلى أين أذهب؟ وكيف أذهب؟ بل حزم متاعه وصحب أهله وخرج قائلا: (إني ذاهب إلى ربي سيهدين) لقد أطاع الخليل دون أن يسأل عن الوجهة التي يذهب إليها، وآمن بأن الله تعالى سيهديه.

والأساس الثاني ظاهر من قول الخليل: (سيهدين) فكأنه قال: إني أخرج طاعة لربي، ومؤمن بأنه سيهديني إلى ما فيه خيري.. فالأساس الثاني هو الإيمان بالله تعالى وبأمره ونهيه إيمانا مطلقا، دون شك، ولا حيرة، ولا قلق من تأخير إجابة المطالب، ثقة بالله، وبأنه يفعل الصالح لعباده في الوقت الذي يرى فيه صلاحا لهم. لقد بشر الله تعالى إبراهيم بولد من صلبه، وكانت إجابة البشرى بعدها بعشرين عاما، ولم يقلق ابراهيم ولم يشك.. وهذا هو اليقين الذي ورثه النبي محمد (ﷺ)، وورثه أمته ليكونوا عليه ولا يحيدوا عنه.

لقد وضع إبراهيم الخليل ولده إسماعيل على أرض جرداء، لا نبات فيها ولا ماء، ولم يسأل ربه: ماذا يأكل، ماذا يشرب، كيف ينام؟ وسألته زوجته هاجر المصرية المؤمنة: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذن لايضيعنا... لقد ورثت إيمان الخليل، وورثه عنه إسماعيل، وورثه عنه سيدنا محمد (ﷺ).. وهذا هو الإيمان بحقيقته وروحه ومعناه.. لقد أصبح القفر اليباب عمرانا هائلا، وهوت أفئدة الناس إلى مواطن إسماعيل كما دعا أبوه: (فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون).

والأساس الثالث من أسس دين الخليل الذي ورثناه عن رسولنا محمد (ﷺ) أولى الناس بدين إبراهيم هو: العمل لوجه الله

علم التوقيت ، والاختراع المغربي في آلة ربع الشعاع

- الحلقة الثالثة-

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

وهذا نصه:

" إرشاد الخل لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل"

بسم الله الرحمان الرحيم

لك الحمد يامفيض أشعة الإلهام، على ظل الأفهام ومرشدها بعد الميل والإبهام ، في مدارات الأيام ، حتى قطعت من أزهارياض الاستنباط بعد بعد في أوج الأفلاك الارتباط، وسيلة ركن من أركان الدين ، للمراعين العابدين، وصلى اللهم على سيدنا محمد أفضل المخلوقات، وعلى آله وصحبه صلاة دائمة على ممر الدهور والأوقات.

وبعد فيقول العبد الحقير المعترف بالعز والتقصير، عبد السلام بن محمد بن أحمد الحسني العلمي عفا الله عنه.

لما تنافس في اختراع الآلات الشعاعية جميع الحكماء وحض على النظر في العلوم الموصلة لذلك كل العلماء، وما زالت أفكار العلماء تستخرج درر العلوم، ويحقق المتأخر منهم مالم يحم حول تحقيقه المتقدم الفهوم ، ورأينا أن أتحف العوارف ، وألطف المعارف ، علم يتوصل به إلى معرفة أوقات الصلوات التي هي عماد الدين، لأنه فرض عين على عقلاء المسلمين ، وبه علت الأماجد والأفاضل جيلا بعد جيل، وتنافس في تحصيله كل رفيع الهمة جليل ، أمعنا النظر في الآيات السماوية والحركات الفلكية ، وتفكرنا في طرق الأفلاك وطرائقه، وتأملنا في دقائقه وحقائقه، من اختلاف أوضاعه، وأصناف تشكيل حركة أنواعه ، فأرشدنا من منه المنح الإلاهية، والمواهب الاختصاصية ، التي ليست محصورة في قوم ، ولا مختصة بيوم، لا ستنباط الفروع من الأصول ، ليتيسر لمن جاء بعدنا الوصول ، بأن عثرنا على يتيمة من لججه ، مسلمة ببراهينه وحججه، دانية الأعمال، قريبة الاستعمال ، قليلة الحساب ، سريع الجواب، مع قصر باعي ، وقلة اطلاعي، وعلم نادر، وفهم قصير، فلما استكملت تقويمها بعد النصاب، وطويت أعمالها كطي السجل للكتاب، جعلتها تحفة للحضرة العلية، السلطانة العلوية، غرة الدول، وواسطة عقد الأواخر والأول، وهي حضرة من أحيى مدارس العلوم الرياضية، التي هي واسطة عقد الحكمة النظرية، وتصدى لجميع المكرومات الدوارس، وانتدب لإعادة دارس العلوم بإنشاء المدارس، حامي ثغور الإسلام، ساد سرادق العدل على كافة الأنام ، حضرة مولانا السلطان ابن سيدي أبي عبد الله مولانا محمد بن مولانا عبد الرحمان، أعلا الله مناره، وأعز أنصاره، وجعل شموس سلطنته آمنة الكسوف، وبرور دولته محروسة من الخسوف، ولا زالت قائمة إلى الأبد، مرغمة أنف من كفر وجحد، بجاه سيدي المرسلين، آمين يارب العالمين.

وقد سميت هذه النبذة على كيفية العمل بهذه الآلة التي استنبطها فكرنا القاصر ، وفهمنا الفاتر. يتبع...

" إرشاد الخل لتحقيق الساعة بربع الشعاع والظل"

وهي مختصرة في مقدمة وأربعة أبواب.

. المقدمة في تسمية أجزائه ورسومه.

أما المحور : ويسمى قطب المري، فهو المغزل المركب في طرفي الربع الأخذ من جهة يمين الناظر إليه إلى جهة شماله، المركب في رأسه مري الساعات، وفي ذنبه الزيادة المخروطة التي يتحرك منها عند إرادة معرفة الوقت.

وأما السهم: فهو الشاخص القائم عليه المرتبط بوسطه الحاد الرأس ليعلم به درجة الميل، ويأصله سطح دائرة صغيرة ليقع عليها الظل عند إرادة انعدامه.

وأما الساعات : فهي أربع وعشرون ساعة المرسومة بدائرة الصفر(لعله يقصد بالصفر معدن المحاس)، القائمة على جنب الربع من جهة يسار الناظر إليه ، النافذ في وسطها رأس المحور ، المركب فيه المري .

وأما القوس الإرتفاع: فهو المحيط بالربع، المقسوم بـ 90 قسما متساوية مكتوبا عليها أعدادها طردا وعكسا.

ومركزه : هو محل الخيط.

وأما قوس الميل: فهو القوس الصغير القريب من مركز الربع، وهو مركزه أيضا، مقسوما بعدد أدراج الميل الكلي الذي هو 23 ((درجة) .30دقيقة تقريبا.

وأما القوس الثاني للميل : فهو الذي في وسط الربع الذي يماسه السهم عند مروره به بضعف الميل الكلي، وبوسط هذا القوس خط ينصفه يسمى خط الاعتدال، لكونه فاصلا بين الميل الجنوبي الذي هو منه جنوبا وبين الميل الشمالي الذي هو منه شمالا.

وأما قوس الوتر : فهو القوس الذي في ثخن الربع تحت القوس الثاني لميل ،وموازيا له، وقد يحذف من بعض الإرباع إذا كان القوس الثاني للميل قائما مقامه.

وأما الخيط والشاقول المرتبط به : فليس يخفى والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب الأول في معرفة عرض البلد من غاية الارتفاع

حرك يدك حتى يستوي الظل والشعاع في وجه الربع وفي وجه دائرة الساعات، فما قطعه الخيط حينئذ من أول القوس فهو الارتفاع، فاستخرج الغاية برصده، ثم إن لم يكن ميل فتمامها إلى التسعين هو عرض البلد، وإن كان ميل فزده على تمامها إن كان أي الميل مخالفا لها أي للغاية في الجهة ، وخذ الفضل إن كان أي الميل موافقا للجهة ، فما كان فهو عرض البلد، وجهة الغاية تعرف من جهة القطب الظاهر والله تعالى أعلم.

الباب الثاني في معرفة الميل الأول وكيفية التعليم عليه برأس السهم في القوس الثاني للميل

اقم قوس الارتفاع مقام منطقة فلك البروج طردا وعكسا، واجعل أول القوس هو أول الحمل ، فيكون أول الحمل والميزان من أول القوس، وأول الجدي والسرطان من آخره ، ثم ضع الخيط على درجة الشمس من قوس الارتفاع ، فما قطعه الخيط من قوس الميل فهو ميل الشمس، وهو شمالي إن كانت الشمس في ستة الحمل ، وجنوبي إن كانت في ستة الميزان ، فابعد بقدره عن خط الاعتدال في جهة من القوس الثاني للميل، وعلم على ذلك البعد برأس السهم فيكون مسامتا لمدار الشمس في ذلك اليوم والله أعلم وهو الملهم.

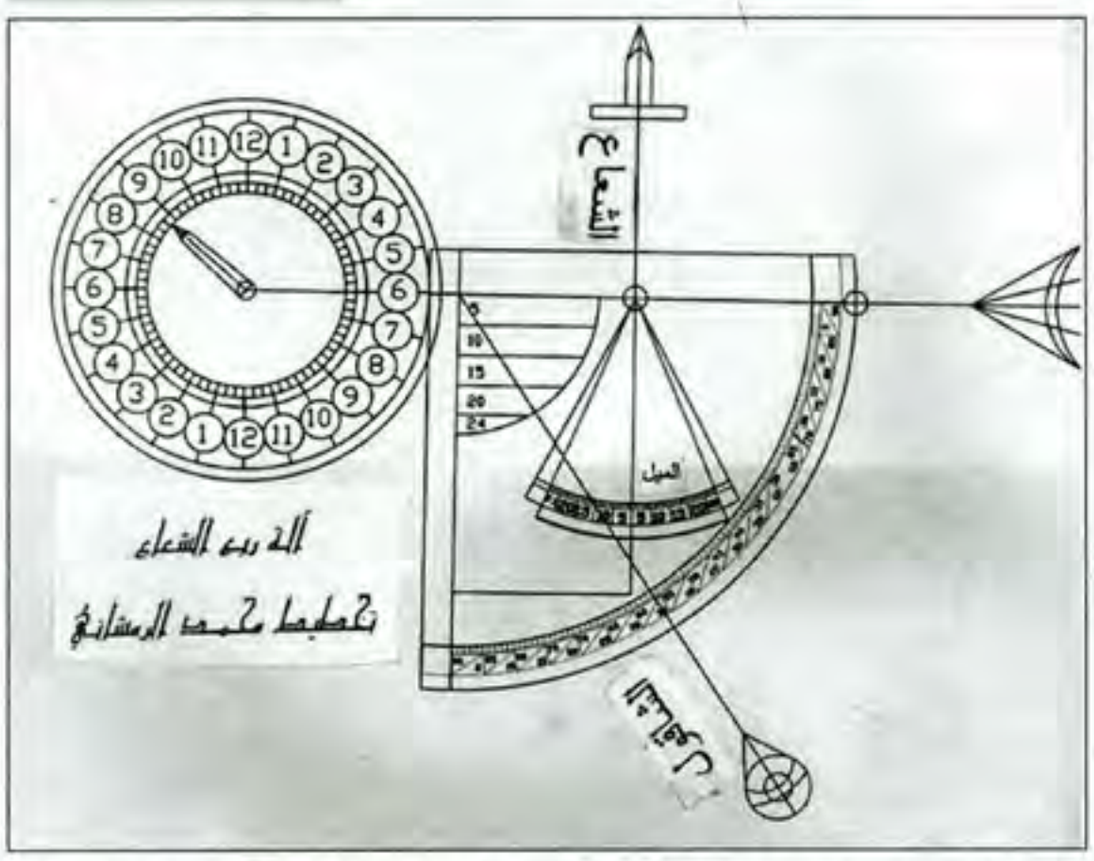

الباب الثالث في معرفة أي ساعة أنت من ساعة النهار وكم مضى منها

ضع رأس السهم على قوس الوتر ليكن مسامتا لدرجة ميل الشمس في جهته من جنوب أو شمال ، ثم علم بالمري على الساعة الثانية عشر السفلي وهي أولى من غير أن تحرك المحور ويكون رأس المري مرتفعا عن صفيحة الساعات عند دورانه عليها لأن لا يماسها فيختل العمل، ثم امسك الربع بيديك وعلق في خيطه شاقولا، وحرك؛ يديك حتى يقطع الخيط من آخر قوس الارتفاع عرض البلد الذي أنت فيه، ويكون الخيط لا داخلا في الربع ولا خارجا، حرك المحور من ذنبه المخروط ذاهبا برأس السهم إلى جهة المشرق ، والأولى أن تكون مواجها لتلك الجهة تحقيقا أو تخمينا ، ولا تزال تحرك المحور حتى يقابل رأس سهم الشمس مشرقا كانت أو مغربا، وينعدم ظله بأن لايكون له ظل أصلا على سطح الدائرة التي في أصله، ويكون الخيط على عرض البلد من آخر القوس كما ذكرنا، وقد تم العمل ، فاترك ذنب المحور حينئذ بلطف، وانظر ماقطعه المري من الساعات، فذلك الماضي من نصف الليل فإن كان أقل من اثني عشر ساعة فأنت قبل الزوال، وإلا فبعده أعني موافقا سير المجانة المرسلة وقت كون الشمس على دائرة نصف النهار من غير صرف ولا عمل، وهذا العمل عام في جميع العروض وجميع الأزمنة فاعلمه، والله تعالى أعلم وهو الملهم ولا رب غيره.

تنبيه لابد أن يكون وجه الربع مظللا قبل الزوال ونيرا بعده، ويعرف قبله وبعده من قبل زيادة الارتفاع ونقصانه بعمل الباب الأول.

تنبيه

قد يكون في بعض الأرباع قوس مثل قوس الارتفاع يعتبر من أوله العرض إن كان الوقت قبل الزوال فيكون العمل به أسهل.

الباب الرابع في معرفة الجهات الأربع

اعلم أن سطح الربع عند انعدام ظل الشاخص بعمل الباب الثالث يكون قطعة من سطح دائرة النهار فعلمه، إذا خططت في الأرض خطا موازيا لسطح الربع وهو على تلك الحالة كان هو خط الزوال ، ورأسه الموالي لجهة آخر القوس هو عين الشمال ،فاقم عليه خطا على زوايا قائمة يكون هو خط المشرق والمغرب وقد اتحدت الجهات الأربع ، فابعدعن عين المشرق والمغرب بقدر سمت قبله بلدك في ربعه يحصل سمت القبلة والله تعالى أعلم.

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله

انتهى

يلاحظ هنا جليا أن الشيخ العلمي في خطبة هذا الكتاب. رغم ماكان يبديه من تواضع . كان معتزا بمخترعه هذا، ويعتبره ذا شأن عظيم ، ومفخرة كبيرة، ولهذا تجده يعده كما قال : تحفة للحضرة العلية ويشيد بمقام الملك السلطان سيدي محمد الرابع بن السلطان مولاي عبد الرحمان ولما كان كذلك يلمسه في جانب هذه الملك من اهتمام واعتناء بعلم التوقيت، وفعلا فقد نقلت كتب التاريخ أن السلطان المذكور كأسلافه كان يولي اهتماما كبيرا لهذا العلم وله مشاركة وأيادي بيضاء فيه.

ولم يكن علماء التوقيت في المغرب قبل اختراع العلمي يعرفون ساعة شمسية مزولية ميكانيكية متنقلة حتى ظهر عليهم في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي الأستاذ العلمي بهذا الاختراع الجديد، فكان له الأثر الحميد بين أوساط العلماء عموما وعلماء التوقيت خصوصا، ومع ذلك لم يكتب لهذه الآلة الاستمرار والتطور، بل ماتت مع مخترعها، ويااليت علماءنا ساروا على درب العلمي في كل ميادين العلوم من النظري إلى التطبيقي.

ولاتعجب من أهمية هذا الاختراع آنذاك، لأن هذه المزولة هي بنت وقتها ، فكان لها دورها الفعال والبناء ، لأنها كانت هي الساعة الناطقة التي يرجع إليها المكلف بوظيفة التوقيت ولو مرة في الأسبوع في الوقت الذي لم يكن فيه مذياع ولا برق، وكانت هي مصدر التوقيت للساعات الرملية أو المائية المسترسلة بغرفة الموقت بالمنار، ومازالت غرف التوقيت قائمة بكثير من معظم المساجد بالمملكة شاهدة على ذلك.

خطورة القول على الله بغير علم

■ إعداد الأستاذ: عبد الرزاق اصبيحي

■ إن الله عز وجل فضلنا على سائر الأمم، واصطفانا للقيام برسالته، وإن هذه الأفضلية إنما كانت لنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإذا كان كل المسلمين يعرفون قيمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الله تعالى، فإن القليل منهم من يدرك أن للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروطا وضوابط، جاءت في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سيرة السلف الصالح.

ويأتي في مقدمة هذه الشروط والضوابط شرط العلم، بحيث يعلم المعروف معروفا والمنكر منكرا، وإلا فإن المتصدي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سيفسد من حيث أراد أن يصلح ويهدم من حيث أراد أن يبني.

إن كثيرا من المسلمين اليوم أصبحوا يفتون بغير علم، فيحلون ويحرمون، وهم يظنون أنهم إنما يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. ونتيجة لذلك ضلوا وأضلوا.

ولقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجرأة على الفتوى فقال عليه الصلاة والسلام: "أجراكم على الفتيا أجراكم على النار" سنن الدارمي.

كما حرم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى : "قل إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون" فرتب المحرمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها وهو الفواحش ثم ثنى بما هو أشد تحريما منه وهو الإثم والظلم ثم ثلث بما هو أعظم تحريما منهما وهو الشرك به سبحانه ثم ربع بما هو أشد تحريما من ذلك كله وهو القول عليه بلا علم، وهذا يعم القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي دينه وشرعه.

وقال تعالى: "ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب. إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون. متاع قليل ولهم عذاب أليم" فتقدم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه وقولهم لما لم يحرمه هذا حرام، ولما لم يحله هذا حلال. وهذا بيان منه سبحانه أنه لايجوز للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحله وحرمه.

والمفتي يخبر عن الله عز وجل وعن دينه، فإن لم يكن خبره مطابقا لما شرعه، كان قائلا عليه بلا علم. ولكن إذا اجتهد واستفرغ وسعه في معرفة الحق وأخطأ، لم يلحقه الوعيد، وعفي له عن ماأخطأ به، وأثيب على اجتهاده. ولكن لايجوز أن يقول لما أداه إليه اجتهاده ولم يظفر فيه بنص عن الله ورسوله إن الله حرم كذا وأوجب كذا وأباح كذا، وإن هذا هو حكم الله.

ولهذا قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: لم يكن من أمر الناس ولا من مضى من سلفنا ولا أدركت أحدا اقتدى به يقول في شيء هذا حلال وهذا حرام. وما كانوا يجترئون على ذلك، وإنما كانوا يقولون: "نكره كذا" و"نرى هذا حسنا" "فينبغي هذا" و "لانرى هذا".. ولايقولون حلال ولا حرام، أما سمعت قول الله تعالى: "قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل الله أذن لكم أم على الله تفترون".

وقال سحنون بن سعيد: أجسر الناس على الفتيا أقلهم علما، يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم يظن أن الحق كله فيه.

وقال سحنون: إني لأحفظ مسائل منها ما فيه ثمانية أقوال من ثمانية أئمة من العلماء، فكيف ينبغي أن أعجل بالجواب قبل الخبر.

وهكذا، كان سلف هذه الأمة وأعلامها يتحرجون من الفتوى، ويفكرون مائة تفكير قبل أن يجيبوا عن سؤال في دين الله عز وجل، لأنهم يعلمون أنهم عندما يفتون، فكأنما يوقعون نيابة عن الله تعالى. ولذلك كانوا يكرهون التسرع في الفتوى ويود كل واحد منهم أن يكفيه رياها غيره، فإذا رأى أنها قد تعينت عليه بذل اجتهاده في معرفة حكمها من الكتاب والسنة أو قول الخلفاء الراشدين ثم افتى.

قال عبد الله بن المبارك حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فما كان منهم محدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث، ولا مفت إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا.

وروي عن الإمام مالك بن أنس أنه سئل عن مسألة فقال: لاأدري، فقال: يا أبا عبد الله تقول لا أدري. قال: نعم فأبلغ من وراءك أني لا أدري.

وروي عن الإمام أحمد أنه كان يسأل عن كثير مما فيه الاختلاف في العلم فيقول:لاأدري.

ومن الغريب أننا نترك الأمر بالمعروف الذي يعلم الجميع أنه معروف كالصلاة، ونترك النهي عن المنكر الذي هو منكر عند جميع علماء الأمة كالشرك، ثم نبحث بكل سعي عن معروف لايعرف أو مختلف فيه، أو منكر مختلف في إنكاره بين علماء الأمة، فبالأحرى بين عامتها. فلنتق الله في أنفسنا حرصا على أنفسنا من أنفسنا.

من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه جزء من حديث نبوي

■ إعداد الأستاذ: امحمد الامراني

■ في مخطوط بالخزانة العامة وجدت هذا الحوار الممتع، وهو. بلا شك. له دلالات عميقة وحكم بليغة، فأحببت أن أشرك قراء جريدة "ميثاق الرابطة" في هذه المتعة الروحية.

فقد جاء في هذا المخطوط مايأتي:

"الحمد لله، حكى الأصمعي رحمه الله قال: بينما أنا ذات ليلة أطوف إذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة وهو ينشد هذه الأبيات:

يامن يجيب دعاء المضطر في الظلم
يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا
وأنت ياحي ياقيوم لم تنم
أدعوك ربي هائما قلقا فارحم بكائي
بحق البيت والحـــرم
إن كان جودك لايرجوه ذو سفه
فمن يجود على العاصين بالكرم

ثم بكى بكاء شديدا ثم أنشأ يقول:

الا أيها المقصود في كل حاجة
شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
الا يارجائي أنت تكشف كربتي
فهب لي ذنوبي كلها واقض لي حاجتي
أتيت بأعمال قباح ردية
وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار غاية المنى
فأين رجائي فيك أين مخافتي

ثم سقط على الأرض مغشيا عليه، فدنوت منه فإذا هو زين العابدين بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، فوضعت رأسي في حجري وبكيت عليه، فقطرت قطرة ودموعي على خدي، فانتبه وقال: من هذا الذي يهجم علينا؟ فقلت: عبيدك الأصمعي، ياسيدي ما هذا الخوف والجزع وأنت من محل الرسالة ومعدن النبوة، أليس الله تعالى يقول: "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" الآية، فقال: هيهات هيهات يا أصمعي، إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا، وخلق النار لمن عصاه ولو كان حرا قرشيا، أليس الله تعالى يقول: "فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون" ثم ذهب وتركني أبكي.

نسب هذا الشعر للقاضي عبد الوهاب رضي الله عنه.هـ

وهنا تذكرت آخر الكلمة الواردة في الحديث المشهور الذي يقول فيه الرسول صلى الله عليه وسلم: "من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه"

وقوله صلى الله عليه وسلم: "اعملي يا فاطمة فإني لا أغني عنك من الله شيئا" وقوله عليه الصلاة والسلام: "يامعشر قريش لا أغني عنكم من الله شيئا، يابني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، ياعباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، وياصفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا..."هـ.

تفسير الاستطاعة وحكم حج المرأة والأعمى

■ إعداد: الأستاذ: أصبان مصطفى

■ يقول الإمام خليل " ووجب باستطاعة بامكان الوصول بلا مشقة عظمت وأمن على نفس ومال إلا لأخذ ظالم لا ينكث على الأظهر " وحاصل كلامه هذا ايفهم منه، أن المرء إذا آنس من نفسه القوة على الوصول إلى بيت الله الحرام (مكة) وإن اختلفت نوعية الوسلية التي يسلكها أو يمتطيها ، راكبا أو ماشيا على الأرجل وهو الأفضل ، أو طائرا إلا أن الطيران وغيرها لا يدخل ولا يعتبر أمرا عاديا في معنى الاستطاعة إذا تحمله الانسان وتكلفه أجزاه وصح منه الحج . أما قوله " بلا مشقة عظمت" بمعنى أن لايكون في هذا السفر المشقة الكبيرة الخارجة عن المعتاد بالنسبة للشخص ، وهي تختلف باختلاف ضعف الناس وقوتهم وحسب الأزمنة والأمكنة ، ومن الاستطاعة كذلك، تحقق الأمن على النفس والمال ، فإذا كانت الطريق مخوفة أوفيها قتال أو حرب أو سباع سقط الحج، بل ولوخاف الانسان على بعض ماله فلا حج ، إذا كان يجحف به ، فإن حل هذا المال الذي قد يأخذه الظالم أو الغاصب على سبيل المثال عشار ، فإن هذا لا يسقط الحج ، وهذا معنى مؤدى كلام خليل فلا ينكث على الأظهر ، وكذلك الشخص الذي يقترض المال من غيره ولو كان ولده ، فإنه لا يكون مستطيعا، فالحج عنه ساقط، لقول خليل " لا بدين أو عطية أو سؤال مطلقا" فعلى الانسان أن لا يقبل هذه الصدقة وأن لا يسأل الناس، لأن الحج ساقط عليه من هذا الطريق فإن قبل هذا المال وصمم العزم على أداء هذه الفريضة، وجب عليه، فإذن الحج لا يجب باستطاعة الدين ، ومن ثم كان للحج شروطا ، ومنها الاستطاعة، والاستطاعة جاء بها الكتاب والسنة فقال جل من قائل " ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومن كفر فإن الله غني عن العالمين» وعن مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم:« بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا».

ولا يخفى أن الاستطاعة قد جاءت مفسرة في الحديث بالزاد والراحلة ، وإذا توفر لدينا ما يقوم عنهما (أي الزاد والراحلة) كالصنعة التي يرتزق منها الإنسان ، والقدرة على المشي وجب عليه الحج بين البر والبحر متى كانت السلامة فيه غالبة ، وكل ما اشترط في الاستطاعة ، الرجل والمرأة فيه سواء ، إلا أن المرأة تحتاج إلى من يكون بجانبها كالزوج أو العم أو الإبن وغيرهم من المحارم أو رفقة مأمونة، فإذا فقد الجميع فلا حج عليها، استنادا إلى الحديث الشريف " لايحل لامرأة تومن بالله واليوم الآخر أن تسافر يوما وليلة ، إلا ومعها محرم، والمحرم قد يكون من النسب أو الصهر أو الرضاع ، وجاءت امرأة في الحديث منكرة في سياق النفي حيث تعم المحتالة والشابة، كما أن الركوب إذا تيسر لها بكيفية سهلة لا مشقة فيه، فلها أن تحج وإذا شق عليها المشي أو الركوب لصعوبة الطريق أو غيرها ، فلا يجب عليها الحج ، وحال النساء يختلف عن بعضهن البعض ، أما المرأة المعتدة من طلاق أو وفاة الأولى لها والواجب أن تبقى في بيت عدتها ولا يجوز لها أن تخرج حاجة ، وإذا خرجت كانت في فعلها هذا آثمة ، وحجها صحيح ، ولا يمكث في بيت العدة لخروجها عنه، وحكم الأعمى إذا كان قادرا على المشي وكان بجانبه من يساعده ويتوفر على مال يبلغه إلى مكة، أو يهتدي بنفسه إلى الطريق بغير مشقة فالحج في حقه واجب ، ولا حج على غير المستطيع باتفاق الأئمة، وفي وجوب الحج على الفور والتراخي قولان: قال العراقيون بالفورية نقلا عن الإمام مالك، ومن يقول بالتراخي إنما أخذ ذلك من مسائل، وليس الأخذ منها بقوى: فالقول، بالفورية هو الأرجح، فالاستطاعة مهما تحققت بالنفس أو بالغير وجب الحج على الفور لقول رسول الله ، صلى الله عليه وسلم:«من أراد الحج فليتعجل ، وخير المال ماكان من حلال خالص أوآل إلى الانسان من طريق شرعي ميراث وغيره ، لأن الحلال يعين على الطاعة، ويبعد عن المعصية، وقد قال ربنا جل جلاله(إنما يتقبل الله من المتقين). والله تعالى الموفق إلى جادة الصواب.

القرآن المرتل

حرف العين

■ إعداد الأستاذ: عبد الواحد بن سكى

■ إن الاعتماد على حرف العين في موضع خروجه وهو وسط الحلق، دون كمال جريان الصوت معه من جهة، ثم إن انحباس النفس عند النطق به لقوته من جهة ثانية، جعلا منه حرفا معلنا ومجهورا وهي صفة قوة في حرف العين دون الشدة التي هي كمال الاعتماد على المخرج ودون الرخاوة وهي اللين والسهولة. بمعنى آخر، حرف العين هو من الحروف المتوسطة التي أودعت فيها هذه الصفة التي هي محل التوسط بين شيئين وهما القوة واللين. وحروف التوسط خمسة جمعت في هجاء (لن عمر) قال العلامة الشيخ ابن الجزري في منظومته:

وبين رخو والشديد (لن عمـــر)
وسبع علو (خص ضغط قظ) حصر

والتوسط بين الرخاوة والشدة أن يكون الحرف بين الصفتين بحيث أنه عند النطق به ينحبس بعض الصوت معه ويجري بعضه. ألا ترى أنك إذا وقفت على الباء والدال فقلت أب. أد. انحبس الصوت لكون الباء والدال من الحروف الشديدة. وإذا وقفت على السين والفاء فقلت إس. إف. جرى الصوت جريانا كثيرا لكون السين والفاء من الحروف الرخوة. وإذا وقفت على النون واللام فقلت أن. أل. لم ينحبس الصوت عند النطق بالنون واللام انحباسه مع الشديدة ولم يجر معهما جريانه مع الرخوة ولهذا تسمى الحروف البينية نسبة إلى بين وهي محل التوسط بين الشيئين ووصفت بذلك لجريان الصوت مع لفظها دون كماله.

أما علاقة حرف العين في النطق باللسان والحنك الأعلى فتتخلص في كون اللسان ينحط من الحنك الأعلى إلى قاع الفم، مما يجعل آخر اللسان مما يلي الحلق لايرتفع إلى الحنك الأعلى فينحط الصوت معه بتسفل ورقة لينحصر بذلك بينهما، مما يمكن الهواء من الانسياب مع النطق بحرف العين وتسمى هذه الكيفية العارضة له بالانفتاح. ومن الصفات الأخرى لحرف العين أنه حرف ثقيل (مصمت). والذي تجدر الإشارة إليه في هذا الباب أنه إذا وقع بعد حرف العين ألف نحو: العالمين في سورة الفاتحة، فلطف العين ورقق الألف، والبعض يفخمونه وهو خطأ. كما أنه إذا تكررت فلابد من بيانها لقوتها وصعوبتها على اللسان كقوله تعالى: ونطبع على (الأعراف100)وفزع عن (سبا23) وشبهه. وإذا وقع بعد العين الساكنة غين معجمة وجب بيانها لقرب المخرج ولمبادرة اللفظ إلى الإدغام نحو قوله تعالى: واسمع غير (النساء46).

خواطر وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

الخطبة النبوية في العاشر ذي الحجة ورسالتها إلى الإنسان

مع العاشر ذي الحجة وعيد الأضحى المبارك تنتصب أمامنا صفحة مشرقة للتربية النبوية في حجة الوداع، فالخطبة النبوية بمثابة دستور للأمة الإسلامية ، وكانت المحجة البيضاء للمسلمين في سلوكهم وفي معاملاتهم وفي علاقاتهم مع بعضهم ، وعلاقتهم بالأمم والإنسانية جمعاء، وأبرز النقط التي نتوقف عندها في الخطبة النبوية إعلان الرسول صلى الله عليه وسلم بأن دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم محرمة عليهم في قوله:« أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا . ألا هل بلغت اللهم اشهد» ومن النقط الجديرة بالتأمل والاعتبار التي جاءت في الخطبة النبوية حث رسول الله على الأمانة في قوله:

فمن كانت عنده أمانة فليؤديها إلى من التمنه عليها.

وعن حقوق النساء وواجباتهن قال رسول الله : إن لنسالكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق.

وعن أخوه المسلمين فقد تناولها الرسول في خطبته البليغة عندما قال:

أيها الناس ، إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه.

ونأتي إلى النقطة التي شغلت اهتمام العالم ومفكريه وعلمائه وتتناول المساواة وحقوق الإنسان.

قال رسول الله في أروع بيان:

« أيها الناس، ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى».

هذه النقطة البليغة التي جاءت في الخطبة النبوية تعتبر من مفاخر حقوق الانسان في الاسلام، وكيف لا والله سبحانه جعل الانسان خليفته في الأرض ، وفضله على كثير من مخلوقاته؟! قال تعالى:« ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا»

فالآية الكريمة تشير إلى تمييز الإنسان بمزايا العقل والتفكير، وما ينشأ عن ذلك من السيطرة على ما في الأرض ، وتسخيره لخدمته ، والإنسان الذي كرمه الله هو الانسان مطلقا لا فرق بين جنس وآخر ولا بين أبيض وأسود، وما بين صاحب دين وغيره، فالكل سواء ، والنفس الواحدة التي يرجع إليها كل بني آدم هي آدم عليه السلام.

فلا تفاضل بالأحساب والأنساب والناس سواسية في الإنسانية حكاما ومحكومين وأغنياء وفقراء ، وذوي حسب وغيرهم ، وذوي مناصب وسواهم ، والتفاضل بين الناس هو عملهم الصالح.

لقد قدس الاسلام الحياة البشرية وعدها حقا لا يجوز العدوان عليه فبناء على المساواة بين البشر في الحقوق والواجبات ، ومنع سيطرة طبقة على أخرى أو إنسان على آخر لا يجوز في الإسلام سلب حياة أحد بغير حق.

ومن حفاظ الإسلام على الأنفس ومظاهر العمران ماورد من أحاديث يوصي فيها رسول الله بالرفق وعدم قتال من لا يقاتل كقوله(ﷺ):«لاتقتلو شيخا فانيا ، ولاطفلا ولا امراة ، ولاتغلوا ولا تغدروا، ويقول أبوبكر الصديق ليزيد بن ابي سفيان الذي بعثه أميرا على الجيوش الذاهبة إلى الشام « إنك ستجد قوما حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم ، وإني موصيك بعشرة: لاتقتلن امراة ولاصبيا ولا كبيرا هرما ، ولا تقطعن شجرا مثمرا ولا نخلا ولا تحرقها، ولا تخربن عامرا ، ولا تعقرن شاة ولابقرة إلا لمأكلة ولا تجبن ولا تغلل». ونهى رسول الله عن قتل الأسير، بالتجويع والتعطيش كما نهى عن تعذيب المرضى محافظة على إنسانيتهم .

هذه هي المبادئ العظيمة التي أرسى الإسلام أسسها وجاءت الخطبة النبوية في حجة الوداع لتترجمها على أرض الحياة والواقع ، ولتكون نبراسا للانسانية تهتدي به إلى عالم الحرية والمساواة والسلام، هي مبادئ لا تنصح بقتل الأطفال والأسرى وحرق الأشجار وتجريف المزارع والنباتات كما يحدث اليوم في فلسطين والعراق ثم ولا يتورعون مع ذلك في ملء الدنيا صراخا وزعيقا عن الحرية والمساواة وحقوق الانسان فكفاكم تدجيلا ونفاقا يامن تمسكون بزمام القوة وتدوسون الشرعية الدولية ومبادئ الأمم المتحدة التي هي من صنعكم ومنافعكم ادرسوامبادئ الإسلام قبل أن تهاجموها ، وتأملوها قبل إصدار رأيكم في شأنها واتهام الإسلام والمسلمين بالإرهاب وانتم الذين انشأتموه وجعلتموه شريعة متداولة بينكم وحوله تدور مصالحكم ومنافعكم.

نظرات في كتاب " سراج الملوك" لأحمد بن الوليد الطرطوشي

■ إعداد الأستاذ: مراد الخروبي

■ يحتوي الكتاب على عدة مقالات في مواضع مختلفة تشتمل على السياسة والحكم والمواعظ، ألفه الفقيه الأندلسي العلامة محمد بن الوليد الطرطوشي في القرن الخامس الهجري أيام الأمير بن فاتك البطائحي وقد وضعه خصيصا لهذا الأمير.

ويعد هذا السفر الثمين من بين التراث النادر الذي يحق للمكتبة العربية الاعتزاز به والمحافظة عليه واعتماده كمرجع أساسي لكثير من الأمور.

تطرق الكتاب إلى عدة قضايا هامة نذكر من بينها"... قضايا العدالة وصفات الوزراء والقضاة ومسائل الظلم، وقضايا الحريات والمساواة أمام القانون ، وحريات الرأي والمعارضة ، وواقع السلطة والحرب وتدابير وأمور مالية الدولة.

قسم المؤلف كتابه إلى أربعة وستين بابا وقد خص كل باب بموضوع من المواضيع التي تناولها بالبحث والدراسة حيث أفاض في بعضها، وأوجز في البعض الآخر ، كما حافظ على مبدأ التلاحم المطلوب ، فبدت جميعها وكأنها تتآلف وتآزر فيما بينها لتصب في قناة واحدة ألا وهي معالجة ما يتعلق بالسياسة ونظام الحكم والقضاة .. ألخ.

ولا ننسى أن نشير كذلك إلى كون المؤلف قد حالفه النجاح والتوفيق في جل ما تناوله وأدلى فيه بدلوه ، حيث صبغ مصنفه بآرائه الخاصة كما طبع مسيرته في كتابه بتلك البصمات المميزة والأسلوب الفريد الخالي من الكلفة والتعقيد ، القريب من القلوب والعقول ، المسايرة لروح التوضيح والبيان في معالجة القضايا الطارئة والمطروقة، وفق المناهج الموفقة.

وقد حرص الطرطوشي كذلك على تعزيز آرائه بمقتطفات من الكتاب والسنة مدعما كل ذلك بأقوال الحكماء، وأشعار البلغاء وما حفظته ذاكرته العجيبة من الوقائع والأحداث مما يعتبر عدة للكاتب وزادا للطالب هذا من جهة.

ومن جهة أخرى وحتى نكون منصفين إزاء هذا المصنف وصاحبه وفق ما تمليه علينا شروط النزاهة العلمية والحياد الموضوعي ، نشير كذلك إلى كون الفقيه الطرطوشي قد وقع في بعض الأخطاء التاريخية فضلا عن الأخطاء المتعلقة بنسبة بعض الوقائع لبعض الأعلام في حين أن غيرهم هم أبطالها.

وسنتولى بيان ذلك في حينه بالحجة والدليل القاطعين لكل شك ، خدمة للعلم، وإحقاقا للحق ، وإنصافا للتاريخ ، غير أن ذلك كله وإن كان قد وقع وحصل من الطرطوشي ، إما نتيجة سهو أو بسبب عدم دقته أحيانا في ضبط بعض المصادر التي يأخذ منها فهو مع ذلك مما لا يقدح كثيرا في قيمة كتابه من الناحية العلمية إذ قل من يسلم من الخطأ والعصمة ليست لازمة لأحد، وقيمة الكتاب تقاس عادة بمجمل ما يحتوي عليه من فوائد جمة حتى وإن اكتنفته أحيانا بعض الأخطاء ، فيصحح الخطأ حينئذ وتبقى للكتاب قيمته العلمية التي لا يمكن بخسها على كل حال أو نكرانها من طرف أي كان . وخلاصة القول أن ما جاء في كتاب الطرطوشي من قضايا وعبر وما احتواه من آراء وأفكار هي أكبر بكثير من أن يحيط بها مقال أو يشرحها باحث على عجل.

ومادام حجم المقال لايسمح لنا كما قلنا بالإطناب والتوسع واستغراق الكل في الكل ، فإننا سوف لن نقوم بقراءة شاملة لهذا المصنف نظرا لطوله ولكون تلك القراءة تحتاج وحدها لدراسة مستفيضة.

وعليه سنقتصر على بيان بعض الأخطاء التي وقع فيها الفقيه الطرطوشي من خلال تأليفه لكتابه فخاتمة.

المبحث الأول : جرد لبعض الأخطاء التي وقع فيها الطرطرشي

لقد حصل شيء من ذلك في الباب الثامن والعشرين الذي عنونه الطرطوشي تحت اسم " في الحلم " فساق قصة إبراهيم عليه االسلام مع ابنه إسحاق بقوله.

والذي بحلمه تضرب الأمثال في هذا الباب قصة إسحاق قال له إبراهيم :" إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين، ثم تله للجبين وأمر على حلقه السكين فلم يقل إلا خيرا فقال الله " فبشرناه بغلام حليم».

فيما يلي نبين الأخطاء التي وقع فيها الطرطوشي في هذا الصدد وهي كالتالي

من حيث الابن الذبيح:

لقد نسب الطرطوشي ذلك إلى إسحاق عوض إسماعيل الذي هو الإبن الذبيح كما هو ثابت بالحجة من خلال القرآن ، والدليل على ذلك قوله تعالى: " ... وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الأخرين سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين، سورة الصافات 107 إلى 112.

لاحظوا هنا أن البشارة بإسحاق جاءت بعد فداء الابن من الذبح وحيث أن إبراهيم عليه السلام كان له ابنان لاغير هما إسماعيل وإسحاق فنستنتج من هذه البشارة التي أتت بعد الفداء من الذبح أن الذبيح كان هو إسماعيل وليس إسحاق كما ذهب إلى ذلك الطرطوشي ثم هناك خطأ آخر وقع فيه الطرطوشي بخصوص السرد : ذلك أن الفقيه ساق هذه الحكاية كالتالي : وأمر على حلقه السكين فلم يقل إلا خيرا فقال الله " فبشرناه بغلام حليم».

فالعكس هو الصحيح ذلك أن الثناء على الغلام بكونه " حليم " سبق محاولة الإقدام على ذبحه ، والقصد من ذلك هو بيان خلق الغلام وبره بأبيه واستعداده لطاعة أمر خالقه ، وهذه هي الغاية الأساسية من ذكر حلمه قبل الإقدام على محاولة ذبحه.

الدليل على ذلك قوله تعالى :«وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين، رب هب لي من الصالحين، فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال: يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ، قال ياأبت افعل ما تومر....

ونختم التوضيح بخصوص هذه المسألة مستنتجين على أن الطرطوشي ربما أوقعه في هذه الأخطاء عدم حفظه للقرآن الكريم الذي يعتبر مرجعا أساسيا لا غنى عنه وخاصة في مثل هذه الحقائق المتعلقة بالأنبياء إذ لو كان يحفظ القرآن عن ظهر قلب مثل أغلبية فقهاء ذلك العصر لما وقع في مثل هذا الخطأ العلمي.

وهناك خطأ آخر ارتكبه الطرطوشي في الباب السادس والعشرين من كتابه " سراج الملوك"

وهكذا نجد الطرطوش يحدثنا في الفقرة الأولى من الصفحة 236 بقوله : «وكان يقال أولى الناس بالسلطان أحقهم بالرأفة والرحمة. وفي الإنجيل : أفلح أهل الرحمة لأنهم سيرحمون ، وقال سليمان بن داود (ع) لقد أبغض الله المسرعين إلى هرق الدماء وإلى هرق الدماء انتهت القسوة والغلظة والتباعد من الرحمة..."

وإلى حد الآن ليس هناك خطأ في هذا الكلام ولكن الخطأ سنلمسه في هذه الجمل الموالية:

(... ولما تمكن داود من قتل جالوت أبقى عليه وهو يؤمئذ عدوه وطالبه، وقال رب أعظم دمي في أعين أعدائي كما عظمت في عيني دم عدوي وكذلك خلصني من جميع الهموم...)

وهذا الكلام الذي أورده الطرطوشي بشأن عفو داود على جالوت والإبقاء عليه حيا بعدما انتصر عليه ، يشكل اعتقادا غريبا ينطوي على اتجاه شاد ، خصوصا وأن الأمر يتعلق بمسألة حساسة ذات أهمية بالغة لكونها تتعارض مع صريح الآية الكريمة 251 من سورة البقرة التي تؤكد قتل داوود لجالوت مما يكشف بالتالي عن فداحة الخطأ الجسيم الذي انطلى مع تحامل الأسف على فقيه كبير من درجة الطرطوشي.

ونسوق فيما يلي الآية التي تثبت بالدليل القرآني القاطع لكل شك خطأ الطرطوشي وفساد رأيه بخصوص هذه المسألة.

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين، فهزموهم بإذن الله وقتل داوود جالوت، وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء، سورة البقرة / الأيتان 250. 251.

والآن وبعدما استعرضنا جانبا من مواضيع هذا الكتاب وبينا كذلك بعض الأخطاء التي اكتنفت هذا المصنف الثمين.

نقول في نهاية هذا البحث بأن كتاب الطرطوشي رغم ما اكتنفه من بعض المزالق التي قلما يسلم منها أحد فهو مع ذلك سيظل كتابا قيما له وزنه العلمي في مجال الآداب السلطانية بما أتى به من أفكار وآراء وما بذله من مجهودات جبارة في سبيل تعبيد الطريق لمن أتى بعده والعصمة ليست سوى لكتاب الله وحده.

خاتمة:

نجعل مسك الختام كلام الإمام مالك عندما كان يلقي الحديث الشريف على سامعيه بالمدينة المنورة فخاطبهم ذات يوم قائلا :كل كلام يؤخذ عليه ويرد إلا كلام صاحب هذا القبر " وأشار إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

وجاء في جملة أقواله كذلك: « إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فما وافق السنة فخذوا به».

عناية المغاربة بالعقيدة الأشعرية

- الحلقة الأولى -

■ إعداد: الدكتور عبد الخالق أحمدون

■ تشكل العقيدة الأشعرية أحد الثوابت الدينية التي استقر عليها المغاربة منذ زمن بعيد إلى إلى يومنا هذا ، إلى جانب الفقه المالكي والتصوف السني المعتدل. وقد كان لملوك العلويين دور بارز في ترسيخ هذه العقيدة في نفوس المغاربة ، وحض الرعية على الالتزام بها ، وتشجيع العلماء والدارسين وطلبة العلم على الاشتغال بها ونبذ ما سواها ، لأنها عقيدة توافق الحق وأصول الإسلام في نقائه وصفائه وطهره وسموه واعتداله.

وقد توجهت رسالة المجالس العلمية بتوجيهات جلالة الملك محمد السادس ، حفظه الله ، السديدة للقيام بمهامها الدينية والتربوية والأخلاقية بما يتفق من جهة مع تعاليم ديننا السمحة ، المبنية على الاعتدال والتيسير والوسطية والتسامح والإحسان والتعارف والتراحم والتعايش ، وبما يحافظ من جهة أخرى على الهوية الوطنية والأصالة المغربية القائمة على الثوابت الثلاثة : العقيدة الأشعرية ، والمذهب المالكي ، والطريقة السنية المعتدلة في السلوك، والتربية الإيمانية الصوفية النقية ، التي طبعت المغاربة منذ أمد بعيد" بطابع الصلاح والاستقامة، ورسخت فيهم معاني السمو والرقي والإشراق الفكري والمعرفي ، في إطار الدفاع عن قيم الإسلام ومقدساته ، والجهاد من أجل إعلائه والتمكين له.

وينتسب المذهب الأشعري إلى مؤسسة أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري البصري البغدادي (ت 324) ، المتكلم النظار، الذي قال عنه ابن عساكر الدمشقي (ت 571هـ) :" أشد العلماء اهتماما بعلم الكلام ، وألدهم لمن حاول الإلحاد في أسماء الله وصفاته خصاما ، وأمدهم سنانا لمن عاند السنة ، وأحدهم حساما وأمضاهم جنانا عند وقوع المحنة وأصعبهم مراما ، ألزم الحجة لمن خالف السنة والمحجة إلزاما، فلم يسرف في التعطيل ، ولم يغل في التشبية، وابتغى بين ذلك قواما ، وأهمه الله نصرة السنة بحجج العقول، حتى انتظم شمل أهلها به انتظاما"

لقد استطاع المذهب الأشعري بما يملك من عناصر القوة والتحدي والثبات أن يتطور وينتشر في الأقطار الإسلامية، ويبسط نفوذه في أقاصي البلدان، وأن يحقق نجاحا كبيرا في الأوساط العلمية والشعبية بالمغرب ، يفسر ذلك النسق العقدي الذي يتحرك فيه الفكر الأشعري ، في إطار من الانسجام بين جوانبه وجزئياته ودقائق مفاهيمه ، الذي تحكمه رؤية منهجية معينة ، ويطبعه اختيار عقدي متميز، رسمت خطوطه العريضة نصوصه الكلامية المبثوثة في كتب أبي الحسن الأشعري ، ومنها كتابه "الإبانة عن أصول الديانة"

وقد لخص الأشعري مذهبه الكلامي في الباب الأول من كتابه المذكور حيث جاء فيه:" قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل ، وسنة نبينا عليه السلام ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون.. وأنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاءوا به من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانرد من ذلك شيئا..».

لقد عرفت البيئة المغربية كثيرا من الفرق والمذاهب الكلامية كالمعتزلة والخوارج والشيعة ، وكان لهذه الفرق حضور قوي في إثارة النقاش حول القضايا الكلامية ، وإذكاء روح المناظرة والحوار والجدل في أمور العقيدة ، وإلى جانب ذلك كان الفقه المالكي حاضرا بثقله، حيث تعلق المغاربة به وبصاحبه إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي الذي كان له موقف واضح متميز في مواجهة القضايا العقدية ، يتسم بالابتعاد عما يشوش عقيدة المسلم الصافية، واجتناب الجدل في الذات الإلهية وصفاتها ، والنهي عن التعلق بالتشبيه والتمثيل، وتنزيه العقيدة عن التأويل ، وهو الذي اشتهرت عنه المقولة التي كان يروجها الطلبة وإلى يوم :" الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة"، وكان يرد الآيات المتشابهات إلى ما هي عليه من غير تأويل ويقول :" إنما أهلك الناس تأويل مالا يعلمون" . ومع ذلك فقد ألف رسالة لتلميذه عبد الله بن وهب في القدر أثبت فيها أن الإنسان مجبر على أفعاله وأن قضاء الله وقدره هو السابق والفاعل الأوحد، استنادا إلى مجموعة من الأحاديث.

وعلى العموم فقد تمكن الجيل الأول من العلماء بتأسيس نسق عقدي منسجم مع المذهب المالكي ومبادئه السنية الواضحة ، ولعل مقدمة ابن أبي زيد القيرواني صدر بها رسالته الشهيرة توضح بشكل ملموس الخط العقدي الذي سار فيه أتباع المذهب المالكي ، ودافعوا عنه بالحجج والبراهين والأدلة النقلية والعقلية في مواجهة الفرق الكلامية . وإذا كانت هذه المقدمة العقدية لا تخرج بصفة عامة عما قرره السلف الصالح في مسائل العقيدة، إلا أنها تشتمل على مسائل تحمل النفس الأشعري ، مثل القول بأن الله فوق عرشه بذاته وهو في كل مكان بعلمه.

وكان المغاربة على العموم أميل إلى مذهب أهل الحديث والرعيل الأول من السلف الصالح في عدم التأويل وإقرار الصفات المتشابهة، وترك الخوض في الكلام جملة، فظلوا أوفياء لطابعهم السلفي الواضح في الوقوف عند حرفية النص واتباع سنة السلف الصالح، وابتعدوا كل البعد عن التأويل العقلي لمسائل العقيدة، وقد ساهم المذهب المالكي في ترسيخ هذه العقيدة، وتمكنت رسالة ابن أبي زيد القيرواني من فرض هيمنتها على الساحة العلمية ومجالس الدرس والمناظرة، إلى أن ظهر جيل من المالكية تشربوا المذهب الأشعري وقرءوا الرسالة وشرحوها شرحا أشعريا، مما دفع البعض إلى اعتبار ابن أبي زيد أشعريا.

وهناك إشارات قليلة في كتب التاريخ والطبقات تفيد بأن المذهب الأشعري دخل إلى المغرب في وقت مبكر، وأن فقهاء المالكية كان لهم دور كبير في ترسيخ هذا المذهب في الغرب الإسلامي عموما والمغرب على وجه الخصوص ، فقدذكر ابن عساكر أن الإمام القاضي أبا بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403)خلف بعده من تلامذته جماعة كثيرة تفرقوا في البلاد أكثرهم بالعراق وخرسان ، ونزل منهم إلى المغرب رجلان، أحدهما أبو عبد الله الأذري، والثاني أبو الطاهر البغدادي الواعظ الناسك، وقد راج المذهب على يديهما رواجا في إفريقية والمغرب. يقول عبد المجيد النجار :«وقد كان ظهورالباقلاني رائد المذهب الأشعري عنصرا مهما في إقبال أهل المغرب على تعلم الأشعرية ونقلها إلى بلدانهم ، وذلك لأن الباقلاني كما كان أيضا رأس المالكية بالمشرق، وهو كان حافزا للمتعلمين المغاربة كي يشدوا إليه الرحال لطلب فقهه، وكانوا يأخذون مع ذلك منهجه الأشعري في العقيدة.

ومن العلماء المالكية البارزين الذين حملوا لواء الأشعرية بالأندلس نجد أباالوليد الباجي (ت474) الذي دافع عن الباقلاني وآرائه الكلامية، ورد الشبهات التي ألصقها به خصومه.

وتبدو أشعرية الباجي واضحة جلية في كثير من آرائه وأفكاره، خاصة مسألة الإمامة التي نحا فيها منحى أشعريا، وأكد على ضرورة طاعة الخليفة وملازمة الجماعة، فهو ينصح ولديه قائلا: عليكما بطاعة من ولاه الله أمركما، لامعصية فيه لله تعالى، فإن طاعته من أفضل ما تتمسكان به وتعتصمان به ممن دعاكما ، وإياكما والتعريض للخلاف لهم والقيام عليهم ، فإن فيه العطب العاجل والخزي الآجل ، فالتزما الطاعة وملازمة الجماعة..»

وخلال حكم المرابطين سينحصر المد الأشعري قليلا، ويتراجع الفكر العقدي في اتجاه التأويل العقلي على طريقة الأشعرية، لتهيمن الطريقة السلفية في إمرار النصوص على ظاهرها، ويسود مذهب أهل السنة ، وسيظهر خصما جديدا للمذهب الأشعري ، وهو أحد زعماء المذهب المالكي في الأندلس القاضي أبو الوليد بن رشد الجد (ت520هـ) ، الذي سينبه السلطان أبا الحسن علي بن يوسف بن تاشفين إلى وجوب إبعاد العامة عن الخوض في علم الكلام الأشعري، " فمن الحق الواجب على حسن من ولاه أمر المسلمين أن ينهي العامة المبتدئين عن قراءة مذاهب المتكلمين من الأشعريين ، ويمنعهم من ذلك غاية المنع مخالفة أن تنبو أفهماهم عن فهمها فيضلوا بقراءتها ، ويأمرهم أن يقتصروا فيما يلزمهم اعتقاده على الاستدلال الذي نطق به القرآن ونبه عباده في محكم التنزيل.

وهذا الرأي بالرغم من كونه جاء محكوما بظروف سياسية خاصة إلا أنه لقي فيما بعد تجاوبا في أوساط العلماء، حتى من الأشعريين أنفسهم ، حيث نبهوا على ضرورة إلجام العوام عن علم الكلام، لما فيه من خطر لا يؤمن ، وشر لا يمكن الاحتراز منه. وقد عبر عن هذا الموقف العالم الكبير أبو حامد محمد العربي الفاسي في منظومته مراصد المعتمد فقال:

وحجة الإسلام وابن رشد
وغير هذين من أهل الجد
قد منعوهم تعلم النظر
على طريق القوم من أجل الخطر

ورغم هذا الموقف المعلن الرافض للمذهب الأشعري من قبل الدولة المرابطية، إلا أنه لم يستطع القضاء على هذا المذهب الذي سيرفع أحد العلماء المالكية البارزين في هذه الفترة لواءه، ونخص بالذكر الفقيه المالكي الكبير القاضي أبا الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت 544 هـ) الذي نحا في اتجاهه العقدي منحى أشعريا ، وكانت له صلة قوية بهذا المذهب. وتتجلى هذه الصلة من خلال كتابه الشفا، وكذلك في أخذه عن كثير من المتكلمين الأشاعرة.

يقول العلامة محمد بن تاويت الطنجي :" واحتجاج عياض المتكرر في كتاب الشفا بآراء أبي الحسن الأشعري وأبي بكر ابن فورك ، وأبي المعالي إمام الحرمين الجويني يثبت كل ذلك صلته الوثيقة بمذهبهم وبكتبهم ، وقراءته لمؤلفاتهم في الاعتقاد، ووصفه للباقلاني وأبي بكر ابن فورك بقوله: من أئمتنا، دال على أنه أشعري المذهب . ويؤكد الأستاذ ابن تاويت أن المدرسة التي أخرجت القاضي عياض وشيوخه الذين تعلم عليهم الكلام وأصول الدين كانت على علم بالجدل والمناظرة على مذهب أبي الحسن الأشعري ، وأن كتب الأشاعرة في علم الكلام كانت معروفة بين رجالها يتدارسونها في كافة أنحاء المغرب.

وفي هذه الفترة برز في الأندلس الفقيه المالكي الكبير أبو بكر محمد بن العربي المعارفي (ت 543 هـ)، أكبر شخصية مالكية أشعرية بالغرب الإسلامي ، والذي سيتطور المذهب الأشعري على يديه تطورا ملحوظا من خلال ما نقله من المشرق من كتب علم الكلام على طريقة الأشعرية ، ونذكر منها على سبيل المثال: مدارك العقول ، والعقيدة النظامية للجويني ، ومحك النظر ، والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ، والجامعين الخفي والجلي للأسفراييني. ثم إن كتبه الكلامية تنطق بما لا يدع مجالا للشك بكونه على مذهب الأشعرية ومدافعا قويا عنهم ، ونذكر من كتبه: الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، رسالة الغرة في الرد على ابن حزم ، العواصم من القواصم، كتاب المتوسط في معرفة الاعتقاد، والمقسط في شرح المتوسط.

(يتبع)

الأضحية سنة مؤكدة ، وهي شعيرة من شعائر الدين عند المسلمين

■ بقلم محمد العزوزي

■ لما أوجد الله هذا الكون ، شاءت قدرته أن يجعل فيه خليفة له. فأوجد أبا البشر آدم عليه السلام ، ثم خاطب ملائكته الكرام قائلا :(إني جاعل في الأرض خليفة)، فاحتج الملائكة قائلين :(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) فرد رب العزة على ملائكته:(إني أعلم مالاتعلمون) وهاهو آدم يخلق له ربه من نفسه من ترافقه في حياته، وهاهو آدم وحواء يتناسلان ويتكاثر في الأرض أولادهما ثم يختار الله لذرية آدم أنبياء ورسلا يهدون أممهم لتوحيد الله وعبادته ، وأول الأنبياء آدم وشبيث ونوح، وإبراهيم أبو الأنبياء إلى خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وصدق الله العظيم:(ثم أرسلنا رسلنا تترا..) وكان لكل نبي ورسول شريعته الخاصة لكن هذا في المعاملات ، أما في العقائد وتوحيده تعالى ، فمتفقون وعلى نسق واحد:(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين...) ومما شرعه الله لعباده المؤمنين سنة العيد وأضحيته ، وقد جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة مؤكدةفهي سنة نبينا صلى الله عليه وسلم وسنة أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام، اسمع لهذه الآيات البينات من سورة الصافات:« وقال إني ذاهب إلى رب سيهدين، رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم.فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحكم فانظر ماذا ترى قال يأبت افعل ماتومر، ستجدني إن شاء الله من الصابرين فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يإبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم....

هذه السنة ، وهذه الشعيرة الدينية العظيمة التي خص الله بها أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، تجب المحافظة عليها ، والاحتراز الكامل على صيانتها، ويجب أن لاتخالطها أية شبهة تنقص من مكانتها السامية، ويجب أن تكون الأضحية من مال الحلال، ليتقبلها الله من عباده المؤمنين ، ويجعلها في ميزان حسناتهم ، (إنما يتقبل الله من المتقين.)

فاحذر أيها المؤمنون أن تندفعوا إلى ما يدعو إليه بعض المفسدين، الذين يعزمون ويعمدون إلى استغلال الضعفاء والمساكين، لأخذ أموالهم بالباطل ، فقد رأينا هذه الأيام إعلانات على اللوحات المنصوبة عند رؤوس الشوارع ، وعند مفترق الطرقات صورة كبش مليح بقرنين تامين مثيرين للانتباه، مكتوب حوله خذ الكبش مع قدر من المال لتتمتع بالعيد، وادفع في كل شهر ما قدره كذا وكذا ، ولمدة 36 شهرا ،. وفي هذا العمل من الربا التي فيها محاربة الله مالا يخفى على أحد، والربا حكمها في الفقه الإسلامي معروف، وغير خاف على أحد ، قال تعالى:« يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مومنين ، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله».

ومعلوم من الدين بالضرورة أن محاربة الله للعباد، لم ترد إلا في موضوعين اثنين، الأولى في الربا بكتاب الله كما سبق في الآية، والثانية في إذاية العبد المومن بالسنة ، قال صلى الله عليه وسلم :(من آذى لي وليا . وفي رواية من عاد لي وليا ، فقد آذنته بالحرب ، ومحاربة الله والرسول للعبد هو الخسران المبين.

أيها المومنون إن هذه المنظمات وهذه الشركات من الأبناك الذين يعمدون إلى امتصاص دم السواد الأعظم من أفراد هذه الأمة . لابارك الله لهم . يريدون أن يكون العبد المؤمن أسيرا لديهم ، لايستطيع الخلاص من أفخاخهم وشباكهم ، بحيث يدور الحول وهولايزال موثقا بحبالهم المتينة، وبما يعيد معهم اللعبة وهو لايزال لم يتخلص مما وقع فيه آنفا.

فالأضحية . أيها المؤمنون . هي سنة مؤكدة فقط، وليست بواجبة من استطاع أن يضحي وله القدرة فليفعل ، فله بكل شعرة حسنة ، ويأتي يوم القيامة راكبا عليها ، ماسكا بقرونها حتى تدخله الجنة، ومن لم يستطع ولاقدرة له ، فقد ضحى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ضحى بكبشين أملحين أقرنين أضجع الأول وجعل رجله الشريفة على صفاحه، وسم الله وكبر وقال : اللهم هذه على محمد وآل محمد ، وقال على الثاني : اللهم هذا على محمد وأمة محمد .

أيها المؤمن، إذا لم تستطع الأضحية ، فقد ضحى عنك صلى الله عليه وسلم فلا تحزن، ولا تأسف فإن هذه السنة لم تفتك ، ولهذا فر من الدين ، لأن الدين. كما ورد هم بالليل ومذلة. أو مذمة بالنهار ويجوز لمن يعلم أنه يستطيع أداء دين الأضحية أن يستهدف لها ، ومن يعلم أنه لا يستطيع، فإن لاحرج عليه، (يريد الله بكم اليسر ولايريد بكم العسر).

ومن قدر على الأضحية بمال الحلال أن يضحي على نفسه ، وعلى ذويه ، زوجته وأولاده، أبيه وأمه ومن تلزمه نفقتهم ثم يسأل على من لم يضح من أقاربه وجيرانه، أن يطعمهم من أضحيته قال تعالى: (وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر ياتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير...)

وقال سبحانه (والبدن جعلنها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صواف ، فإذا اوجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ، كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ، لن ينال الله لحومها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم ، كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين).

فالمسلمون أمة متماسكة متعاونة كالبنيان يشد بعضه بعضا، في الحديث: ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم ، وما نهيتكم عنه فاجتنبوه أو كما قال عليه السلام ، وقد ذم الله الاحتكار والجشع ، وأخذ أموال الغير بالباطل ومدح حسن المعاملة ، قال صلى الله عليه وسلم :(رحم الله عبدا سمحا إذا باع ، سمحا إذا اشترى ، سمحا إذا قضى ، سمحا إذا اقتضى) رواه الإمام البخاري ورواه ابن ماجة .

كما مدح من يسلك طريق الاقتصاد في الحديث:(ما عال من اقتصد) وقالوا :(الاقتصاد نصف المعيشة) فالدهماء من سواد الأمة يعيشون على الكفاف ، واللبيب من ربابنة السفن ، من يصارع البحر حتى يصل بها إلى شاطئ السلامة والنجاة.

وجزئية أخرى ، يجب أن يتجنبها ويبتعد عنها الرجل المؤمن ، ألا وهي: شراء الأضحية بالميزان وهي حية لما فيها من الضرر، فبيع الشاة بالوزن حرام كما نص على ذلك شراح الشيخ خليل رحمه الله ، الزرقاني ، والخرشي والدسوقي على الدردير ، والرهوني على الزرقاني، وجواهر الإكليل والقرافي في الفروق ، انظر: كتاب (عقد الجواهر الحسان) للشريف الطاهري رحمه الله ص: 397. 398 ، فعلى كل مسلم مؤمن أن يتقي الله ويقف عند حدوده، ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه) صدق الله العظيم ، والسلام على من اتبع الهدى.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1053
السنة 36
الجمعة 8 ذو الحجة 1424 هـ
الموافق 30 يناير 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1053 الجمعة 8 ذو الحجة 1424 هـ . الموافق 30 يناير 2004م

دخول المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي

■ تختلف آراء الباحثين في من كان أول من أدخل مبادئ المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي، إلا أنها جميعها تكاد تجمع على أن هذا الدخول كان في القرن الرابع الهجري. ومنها مايزعم أنه كان في حياة أبي الحسن الأشعري(324هـ). فهناك أسماء اشتهرت في القرن الرابع الهجري، وشهر عنها احتكاكا بأشهر تلاميذ الأشعري في المشرق. وبهذا الصدد برز اسم مفكر من الغرب الإسلامي ارتبط اسمه بالعقيدة الأشعرية ويتعلق الأمر بالمفكر التونسي إبراهيم بن عبد الله الزبيدي أو الزبيري الشهير بالقلانسي (ت359هـ)ولسنا ندري إن كان هذا الشخص فعلا هو أول من نقل معه هذا المذهب من المشرق إلى تونس، ومنها إلى باقي أقطار الغرب الإسلامي، إذ ليس هناك دليل يمكنه أن يدعم هذا الراي أو يزكيه أو يقارب أن يفعل. فكل ماتحدثنا به المصادر أنه كانت له مع الدولة العبيدية الفاطمية الشيعية مشاكل من طبيعة اعتقادية بسبب تأليفه كتابا في الإمامة أو شيء من هذا القبيل. وهذا كله لايقوى على حملنا على الاعتقاد يقينا بأن هذه المشاكل كانت نتيجة محاولة القلانسي نشر مبادئ الفكر الأشعري ومعارضة المذهب الشيعي في القيروان.

ثم إن النصوص ضنينة علينا بما من شأنه أن يبت في الأمر ويحسم الموقف. فكل ما نملك نصوصا ونقولا متأخرة لباحثين معاصرين صنفوا هذا الرجل مع متكلمي الأشاعرة.

أما الشخص الثاني فهو أبو ميمونة دراس ابن اسماعيل الفاسي (ت357هـ) دفين فاس، الذي شهر عنه أنه رحل إلى المشرق مبكرا، واحتك ببعض أقطاب الفكر الأشعري هناك، وألف رسالة في الدفاع عنهم.

وهناك أسماء أخرى ورد ذكرها في هذا السياق وتمت الإشارة من طرف بعض الباحثين باعتبارها شخصيات أشعرية لمجرد أنها التقت في المشرق بمن كان وقتها إماما في هذا المذهب فجاء تصنيفها مع أوائل من أدخل هذا المذهب إلى الغرب الإسلامي.

ومن جهتنا فإننا لانملك القدرة على الرجم بالغيب، والادعاء دونما حجة ولابرهان أنهم كانوا من الذين تولوا ضمن من تولوا إدخال الأشعرية إلي أقطار الغرب الإسلامي. وكل مايمكننا أن نؤكد عليه هو أن هذه الفترة شهدت سيادة بعض الأفكار ذات الطبيعة الأشعرية وترديدها من طرف مفكرين كبار ممثلين لمذهب أهل التسليم والتفويض مثل فكرة "آنا مؤمن إن شاء الله" وهي جملة اعتاد قبولها وتجويزها الأشاعرة، في حين لم يجوزها الماتريدية ولا مالك نفسه ولا أبو حنيفة.

وكل هذه الإشارات غير كافية بذاتها كي تقدم الدليل والبرهان على أشعرية أصحابها ومن تتكلم عنهم. ولربما كان غياب النصوص الشاهدة والمؤرخة لذلك هو الذي قلل من قيمة ماورد، فكل ما يمكننا أن نؤكد عليه هو أن دخول المذهب الأشعري إلى هذه الأقطار كان في أواخر القرن الرابع الهجري. على أن الشخصية التي وقع عليها الإجماع من طرف الباحثين في كونها أول من تولى نقل المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي هي شخصية أبي الحسن القابسي (ت403هـ) فكيف تمكن من أن يفعل ذلك؟ وما مؤشرات ذلك؟

الحقيقة أن أبا الحسن القابسي كان قد خرج من الأندلس في اتجاه المشرق طلبا للعلم سنة (353هـ) فالتقى هناك بأشاعرة أثروا فيه تأثيرا واضحا، عكسه في دفاعه عن مؤسس المذهب أبي الحسن الأشعري، معتبرا إياه "واحدا من جملة القائمين بنصرة الحق، ماسمعنا من أهل الإنصاف من يؤخره عن رتبته تلك، ولا من يؤثر عليه في عصره".

ويبدو أنه بمجرد عودته إلى بلده الأندلس عام (357هـ) انهمك في نشر هذا المذهب ودعوة الناس لاعتناقه والتمسك به، ونظرا لأنه لم تصلنا من مؤلفات أبي الحسن القابسي إلا رسالة واحدة هي "رسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين" وهي رسالة تربوية تعمل على تحليل وضعية المعلمين والمتعلمين، وشروط عملهم، وأحكامهم الشرعية. فقد وصلتنا عناوين بعض مؤلفاته التي يبدو من خلالها أن لصاحبنا اهتماما بأمور العقيدة، وسيرا في نهجها، واقترابا إلى ما كان يؤكد عليه مذهب الأشاعرة. ونظرا أيضا إلى أن النصوص تشح علينا بالكلام في عقيدة هذا الرجل، وآرائه الكلامية، فإننا سنعمل على الحفر في رسالته التي وصلتنا علنا نجلي منها ما به نقوى على تأكيد اشعريته.

فالمتمعن لرسالة المفصلة يجد نفسه أمام رسالة شملها صاحبها بغطاء أشعري واضح. فهناك بعض الشذرات التي تشهد على أشعرية القابسي في هذه الرسالة على الرغم من أنها ليست في أمور العقيدة.

ففي معرض جوابه عن معنى الإيمان يقول القابسي "هو تصديق فيما عقد عليه القلب، واطمأن إليه، وكذلك هو الإيمان بجميع ماجاء به الرسل" فمفهوم الإيمان عند القابسي يطبعه الطابع الأشعري حينما يعتبره اعتقادا بالقلب وفي نفس الوقت إقرارا باللسان لأن "القول يعبر عنه، ولاتعلم صحة ماوراء القول من هذا المخبر عن نفسه بالإيمان إلا بالله عز وجل" فالعمل بالجوارح ليس شرطا من شروط الإيمان عنده، لأن الإنسان المؤمن يكفيه في ذلك اعتقاده، وإقراره بالقول، أما العمل فليس شرطا ضروريا في ذلك، على أن القول نفسه لايكون مؤثرا على الإيمان لأنه قد يخفيه أو يخفي عكسه، ولذلك كان الله هو الوكيل على ما يقول الناس ويقرون به اعتقاداتهم، وهو العالم المطلع على ما في الصدور.

أما في سياق حديثه عن القرآن هل هو محدث أو قديم؟ فإن القابسي يورد موقفه من هذه المسألة ويتضح أن موقفه أشعري فهو يقول "ويكفيك من فضل القرآن معرفتك أن القرآن كلام الله، وكلام الله غير مخلوق"

علاوة على هذا فإننا نلمس من خلال حديث القابسي عن خلق الأفعال الإنسانية عدم نسبته الفعل إلى الإنسان حقيقة كما هو الشأن في نظرية الكسب الأشعرية ذلك أنه يرى أن الإنسان إذا نسي شيئا من القرآن فلا يصح له أن يقول " نسيت كما في الصحيح عن حديث سفيان عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لأحدكم يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي".

أضف إلى هذا كله أن رسالة المفصلة تتضمن لجوءا متعددا إلى التأويل. فمن ذلك أن القابسي يؤول كل الأحاديث التي تفيد بظاهرها النهي عن التعليم ليجعلها بفعل التأويل تبيحه ولاترى فيه مانعا. والتأويل عملية عقلية تؤشر عنا على حضور الفكر الأشعري ومنهجيته. زد على ذلك أن هذه الرسالة تتضمن في غير ما موضع قياس على الشاهدة وهي آلية منطقية وظفها الأشاعرة في مقاييساتهم العقلية.

نخلص من هذه الشذرات القليلة إلى أن القابسي لم يستطع إخفاء أشعريته من خلالها، تلك الأشعرية التي تبناها يوم التقى بأساتذة الفكر الأشعري في المشرق، وحملها معه إلى الأندلس والغرب الإسلامي عامة، مبلورا إياها في مجموعة من الرسائل والكتب التي لم تصلنا منها إلا عناوينها، ككتاب الاعتقادات وكتاب المبعد عن شبه التأويل. فلو أن هذه الكتب وأمثالها وصلتنا لأمكننا أن نقف أكثر على هذا الموقف الأشعري لصاحبنا ونجليه بطريقة أوضح.

وأيا ما كان الأمر فإن ابن القابسي اعتبر من طرف باحثين محنكين، ومطلعين أفذاذ، من أوائل من حمل معه معالم المذهب الأشعري إلى الغرب الإسلامي، بل إنه اعتبر أول من فعل ذلك.

ويكفيه فضلا أنه ترك جيلا من التلاميذ، كان من بينهم من عمل على نشر مبادئ الأشعرية وتكريسها في أواسط الثقافة العقدية في الغرب الإسلامي، ونذكر تلميذا له حظي بالاكتراع من أفكاره وتصوراته ويتعلق الأمر بأبي عمران الفاسي.

أجل فبعد القابسي سيظهر مفكرون آخرون سيعملون على نشر المذهب العقدي الجديد. فقد كان مجموعة من كبار المفكرين بالأندلس والمغرب، وتونس يتجهون في بداية حياتهم العلمية إلى المشرق فيتلقون دراستهم الفقهية، والعقدية على كبار الأشاعرة هناك وعند عودتهم إلى بلدانهم يعودون مقتنعين أشد مايكون الاقتناع بهذا المذهب وبضرورة نشره وتعميمه بين الناس.

ويظهر في هذه الفترة دور الإمام أبي بكر الباقلاني (ت403هـ)الذي توفي في نفس السنة التي توفي فيها القابسي. فلقد قام هذا الإمام بدور كبير في عملية نشر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، وقد تمثل دوره في شيئين.

1. كونه كان إماما مدرسا للفقه المالكي وأصوله، كما كانت له الريادة في علم الكلام الأشعري، ونظرا لأنه كان مالكي الفقه فقد كان المغاربة يقصدونه لأخذ الفقه عليه، وكذا أصوله، فكان يمد تلامذته وكل من يقصده بأفكاره ومعتقداته الأشعرية. وهناك أسماء متعددة لمفكرين من الغرب الإسلامي تتلمذوا عليه منهم من تأثر بأشعريته ومنهم من لم يفعل.

2. أن الباقلاني كان قد نهض بعملية نشر المذهب الأشعري في سائر أقطار العالم الإسلامي، حيث نجده بعث بتلاميذه إلى كل من خراسان، والعراق، والمغرب لهذا الغرض. وكان من بين من وصل منهم إلى الغرب الإسلامي شخصان نزلا بالقيروان، وهي يومها مدينة تعج بالمفكرين والفقهاء، ويتعلق الأمر بأبي عبد الله الأذري أو الأزدي، وأبي طاهر البغدادي اللذين توفيا بالقيروان.

والنصوص تضن علينا بالدور الذي قام به هذان التلميذان المباشران للباقلاني في نشر هذا المذهب في الغرب الإسلامي عموما، إلا أن المؤكد هو أنه في هذه الفترة بالضبط سيعرف هذا القطر ظهور مجموعة كبيرة من المفكرين المشهورين قاموا بعملية نشر هذا المذهب في أوساط المثقفين، وسنركز على بعض هؤلاء كي نبرز مواقفهم الأشعرية، وإسهاماتهم داخل المذهب في زمانهم، ويتعلق الأمر بأبي عمد الطلمنكي (ت429هـ)وأبي عمر الفاسي (ت430هـ) وأبي الوليد الباجي (ت474هـ)وبعض من جاء بعدهم مباشرة.